وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة محمد الصديق بن يحي - جيجل-
كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية
قسم علم الاجتماع

محاضرات في مقياس
النظريات المعاصرة في علم الاجتماع
السنة الثالثة علم اجتماع

إعداد: د- حيتامة العيد

السنة الجامعية: 2017/2016

فهرس المحتويات	الصفحة
مقدمة	
الفصل الأول: ماهية النظرية السوسيولوجية	02
1- مفهوم النظرية وتعريفها	03
2- نشأة النظرية وتطورها	04
3- شروط النظرية	06
4- وظائف النظرية	08
5- أهمية النظرية	11
الفصل الثاني: لبعض نماذج النظريات السوسيولوجية المعاصرة	
تمهيد:	31
1- سوسيولوجية دوركايم ونظريته حول الانتحار	34
2- الفلاح البولندي في أوروبا وأمريكا وليام ازاك توماس و فلوريان ولتورد زنانيكي	39
3- ميدل تاون: روبت و هيلين ليند	44
4 - تجارب هوثورن: مايو، روثلسبرجر، ديسكون	45
5 - دراسات يانكي سيتي: ويد وارنر	49
6- مجتمع في الشارع (مجتمع النواصي): وليام فوت وايت	50
7- الأزمة الأمريكية: جونار ميردال (Gunnar Myrdal)	53
8- اختيار الشعب: بول لازار سفيلد وآخرون	54
9- الجندي الأمريكي: صمويل ستوفر وآخرون	
10- الهابيتوس: بيار بورديو	
خلاصة	
خاتمة	
قائمة المراجع	
أولا: المراجع باللغة العربية	
1. الكتب	74
2. المذكرات والرسائل الجامعية	76
3. المواقع الالكترونية	77
ثانيا: المراجع باللغة الأجنبية	77

مقدمة:

تمثل النظرية في الأبحاث الإجتماعية مكانة هامة ذلك لأنها تفسر المعلومات المراد صياغتها، فالبحث العلمي لا يقف عند وصف الظاهرة، وإنما يذهب إلى تفسيرها وتأويلها ،وهذا يأخذ بعين الإعتبار طبيعة الموضوع والإشكال المطروح " فالرجوع إلى نظرية ذات علاقة في إعداد البحوث يسمح بتوضيحها وتوجيهها"[1].

ونتيجة لهذه الأهمية فقد أسهم الباحثون والمهتمون في هذا المجال،وحاولوا تحديد وتفسير معنى النظرية السوسيولوجية، وتبيان شروطها وأهميتها ودورها ووظائفها،وقد أكد غالبيتهم أنها" تساعد أي علم على تحديد هويته وموضوعاته الأساسية،الأمر الذي يسهم في إبراز دوره المعرفي التراكمي،حيث يحدد في ضوئها ما يجب دراسته أكثر من غيره،وما الذي لم يدرس ،ومستوى ما تم التوصل إليه"[2]

فالنظرية تمثل أعلى مستوى للشرح والتفسير لكل الظواهر الاجتماعية،ولا يمكن فهم الواقع الاجتماعي دون الاعتماد على النظرية العلمية،فهي بمثابة البوصلة لكل باحث أو مستكشف،وسنحاول في هذه الأوراق التركيز على النظريات السوسيولوجية المعاصرة في علم الاجتماع ، انطلاقا من سوسيولوجية دوركايم وصولا إلى عصر ما بعد الحداثة، على الرغم من أن الدراسات التي سوف نستعرضها تمثل الكلاسيكيات الحديثة للبحث في علم الاجتماع ، فإنها لم تجر كلها بواسطة علماء الأنثروبولوجيا وعلماء النفس ، ولا تختلف العلوم الإجتماعية فيما بينها اختلافا كبيرا من حيث اهتماماتها البحثية، ولا يزال الوصف الأنثروبولوجي للمجتمعات البسيطة يوفر بيانات للتحليل في علم الاجتماع، كما يتم تبادل البيانات بين علم النفس وعلم الاجتماع بصفة مستمرة.

1-Angeres Maurice**: Initiation pratique à la méthodologie des sciences humaines**, casbah édition, Alger, 1997, p 96.

2-عبد الباسط عبد المعطي،**اتجاهات نظرية في علم الاجتماع**،سلسلة عالم المعرفة،الكويت،1981،ص15

الفصل الأول: ماهية النظرية السوسيولوجية

1- مفهوم النظرية
2- نشأة النظرية وتطورها
3- شروط النظرية
4- وظائف النظرية
5- أهمية النظرية

مفهوم النظرية وتعريفها :

يعتبر مفهوم أو مصطلح نظرية من المصطلحات الغامضة، التي يصعب على الباحث استعماله استعمالاً دقيقاً وصحيحاً في كتاباته وبحوثه، فقد يشير المصطلح إلى النظام التجريدي الذي يجمع الأفكار ويوحدها ويضعها في قالب يجسد معنى مفاهيم محددة، يطرحها العالم في سياق أبحاثه الأكاديمية ، أما معنى النظرية الاجتماعية فقد كان متعلقاً

بالدراسات الفلسفية والسياسية، فقد استعمل مصطلح النظرية الاجتماعية لأول مرة، للتعبير عن نظرية الدولة ، التي اهتمت بدراسات أصل نشوء الدولة الحديثة مع التبريرات الفلسفية والعلمية لأشكالها ، وهناك مجموعة من المؤلفات والكتابات الأدبية، التي يمكن أن توضع تحت عنوان النظرية الاجتماعية، خاصة تلك التي تدور حول طبيعة العلاقات الإنسانية والمجتمع البشري.

عرّفها *وورد* بقوله:" هي نسق منطقي استنباطي استقرائي يتكون من مفاهيم وتعريفات وافتراضات تعبر عن علاقات بين اثنين أو أكثر من أوجه الظاهرة ويمكن أن يشتق منها فرضيات كما يمكن التحقق من صحتها أو خطئها" ،كما عرفها تالكوت *بارسونز* بأنها " نسق نظري يشكل وحدة لمفاهيم مترابطة متساندة منطقياً وبنائياً لها مرجعية أمبيريقية في الواقع، تشكل فيها العلاقات بين الأجزاء إمكانية اشتقاق فرضيات جديدة أو تعميمات تعبر عن انتظامات أمبيريقية " [1]

فهي إذن مجموعة من المفاهيم التي تشكل من خلال العلاقات بينها منظوراً مفاهيمياً للواقع الاجتماعي ، بعض هذه المفاهيم وصفية تحدد وجود المضمون ، والبعض الآخر تحليلي ، وتتألف النظرية من مجموعة افتراضات يعبر كل منها عن علاقة بين سمتين أو أكثر بحيث تشكل هذه الافتراضات معاً نسقاً قابلاً للاستنباط وبحيث تكون المفاهيم والافتراضات قابلة للتحقق من صحتها أمبيريقياً ، ويتم بناء النظرية على أساس عناصر أساسية ومركبات تشمل المفاهيم ، والمتغيرات ، وتعريفات وافتراضات ويوضح العلاقات بين الوقائع وانتظامها بطريقة دالة، ويبين أسباب وظروف تشكل هذا الواقع وتبدله والبعد الأمبيريقي المتضمن مكونات الواقع ومعطياته، بهدف تفسير هذا الواقع وفهمه والتنبؤ بما يمكن أن يكون عليه مستقبلاً [2] .

1- معن خليل عمر ، مدخل علم الاجتماع ، دار الشروق ، عمان، 2009، ص50 .

2- إبراهيم عيسى عثمان، النظرية المعاصرة في علم الاجتماع، دار الشروق، عمان، 2008، ص16.

نشأة النظرية وتطورها:

من البديهيات المتفق عليها، أن النظرية والتنظير العلمي ليس وليد العصر الحديث ،بل هو نتيجة لتراكمات معرفية منذ وجود الانسان، حتى إنه من الممكن أن يقال أنه لم يكن هناك عصر من العصور ، ولا أمة من الأمم ، إلا وكان فيها من المفكرين الاجتماعيين الذين أدلوا بأفكارهم من أجل إصلاح المجتمع منذ الحضارات القديمة ، مثل الآشوريون والبابليون و الفراعنة والهند ، والصين وغيرها، الذين تركوا من الوصايا والتوجيهات ، في الاجتماع والتربية والسياسة ، تعد من أهم مقومات الحياة الاجتماعية ، وكذلك الحال عند المسلمين ،الذين كانت لهم إسهامات بارزة في التفكير الاجتماعي مثل الفارابي وابن خلدون وإخوان الصفا والغزالي وابن الرشد وغيرهم .

كل ما قام به هؤلاء الحكماء والمشرعون من الأمم الشرقية القديمة ، من الدراسات والإصلاحات الاجتماعية ، وكذلك أيضا ما قام به المفكرون المسلمون من الدراسات والإصلاحات ،لم تتفق أغراضها ومناهجها مع ما يسمى الآن بالنظرية، لأنها تفتقر وتفتقد إلى المنهج " ولعل السبب في ذلك يرجع إلى أن دراسة الظواهر الاجتماعية على الطريقة التي يسير عليها علم الاجتماع ، لا تتاح إلا لمن ثبتت لديه أن هذه الظواهر لا تسير حسب الأهواء والمصادفات ، ولا حسب ما يريده الأفراد ، وإنما تسير في نشأتها وتطورها ومختلف أحوالها ، حسب قوانين ثابتة مطردة ، وهذه الحقيقة لم يصل إليها تفكير أحد من قبل ابن خلدون " [1].

فقد حدد ابن خلدون إطار هذا العلم في كتابة الشهير بالمقدمة التي تحتوي على شرح مفهوم هذا العلم وتحديد إطاره، وقد ساعد ابن خلدون على وضع أسس هذا العلم أنه سلك طريقا مبتكرا في دراسات يختلف عن سابقيه، مع العلم أن النظريات الاجتماعية التي نشأت في تلك الحقبة كثيرة جدا ومتباينة كل التباين ، وقد قضى العلماء شطرا كبيرا من هذا القرن في جدال حول طبيعة الحادثة الاجتماعية ، وكيفية دراستها فانقسموا بين النظريات الآلية والعضوية والبيولوجية والتطورية والنفسية والاجتماعية ، ولكن العلماء المعاصرين أهملوا بوجه عام هذه النظريات الضيقة وصاروا أميل إلى اعتبارها نظريات جزئية يمكن أن يتم بعضها بعضا ، وربما كانت النظرية الاجتماعية في علم الاجتماع التي تزعمها إميل دوركايم هي التي امتصت التيارات الأخرى وغلبت عليها .
أما بالنسبة للتفكير الاجتماعي والنظرية الاجتماعية في العصر الحديث ، فإنها نشأت في مجتمع وقع تحت الظلم والطغيان قرونا عديدة ، من قبل الكنيسة التي كانت ترى أن الكتاب المقدس يحتوى على كل الحقائق ، وأنها

1- زيدان عبد الباقي ، **التفكير الاجتماعي نشأته وتطوره، القاهرة، دار الغريب للطباعة**، ،ص ص180-181.

وحدها هي التي تعرف تأويل آياته ، وبذلك تكون هي مصدر كل الحقائق وليس هناك حقائق أخرى ، ومن ادعى غير ذلك يعتبر في نظر الكنيسة مارقا ومرتدا عن الدين ، وتقوم الكنيسة بتسليمه إلى محاكم التفتيش ، التي تقوم بإعدام المارقين حرقا وهم أحياء ، مثلما فعل بجوردانو برونو الذي أعدم وأحرق و محاكمة غاليليو غاليلي .
حينها نادى المفكرون بالإصلاح الديني (لوثر مارتن و جون كالفان وغيرهما) ، ونبذ كل الخرافات والأوهام التي يقول بها رجال الكنيسة ، والأخذ بوسائل التقدم العلمي .
وقد أستُخْدِمَ مفهوم النظريّة للمرة الأولى في الفلسفة اليونانيّة للإشارة إلى المُصطلحات، والمفاهيم التي تخالفُ التطبيقات العمليّة الواقعيّة، واعتُبر الفيلسوف اليونانيّ أرسطو أولَ مَنْ اعتمدَ على تطبيق فكرة النظريّة للتفريق بين الحقائق المُطبقة فعليّاً والنظريات الفكريّة، ثمّ أصبح مصطلح النظريّة من المُصطلحات المعرفيّة التي تُستخدمُ في العديدِ مِن المجالات

سواء الفلسفيّة أو العلميّة أم غيرها،وفي القرن السادس عشر للميلاد أصبح مفهوم النظريّة أكثر استخداماً للدلالةِ على العديد من أنواع الدراسات التي اعتمدتْ على مصادر ومراجع موثوقة، وقابلة للتحليل والتفسير، والتي مِن الممكن تطبيقها ضمن المجال الخاص بها، وساهمتْ في تحقيقِ إضافة متطورة إلى مجموعة من المجالات الدراسيّة، وهكذا أصبحتْ النظريّات جُزءاً مهماً من الدراسات الإنسانيّة، والعلميّة، والطبيّة، والأدبيّة، والفلسفيّة.

شروط النظرية :

حتى يتم وضع إطار معرفي للنظرية لا بد من توفر مجموعة من الشروط من أهمها:

1- أن تكون مكونات النظرية واضحة و دقيقة ، محددة الألفاظ و المعاني و المضامين .

2- أن تعبر النظرية على ما تدل عليه بإيجاز يبين محتواها و أغراضها و أهداف كل جزء من أجزائها .

3- أن تشتمل النظرية على معظم الجوانب التي تكون تلك النظرية و تحللها و تفسرها قد الإمكان .

4-لابد أن تكون النظرية ذات موضوع و إطار تفسيري خاص بها بحيث لا تتداخل مع نظرية أخرى تتناول وتفسر نفس الموضوع و القضايا .

5- أن تستمد النظرية إطارها المرجعي و التفسيري من حقائق و ملاحظات واقعية يمكن إختبارها علمياً بشكل يثريها و يمنحها الخاصية العلمية .

6- من شروط النظرية الهامة قدرتها على التنبؤ ، بحيث لا تقف عند الوصف و التفسير إنما تتجاوزهما الى القدرة على التنبؤ .

وظائف النظرية :

يمكن إيجاز الوظائف التي تضطلع بها النظرية العلمية على النحو التالي :

1- تحديد هوية العلم و موضوعاته الرئيسة و ميادينه فهو من أبرز وظائف النظرية العلمية ، الذي يترتب عليه تأكيد و إظهار الدور المعرفي التراكمي،وعليه يتحدد ما يجب دراسته ، و ما هي القضايا التي لم تدرس بعد إضافة إلى ما تم التوصل إليه من نتائج .

2- تعتبر النظرية العلمية نقطة البدء في دراسة الظواهر الإجتماعية و الطبيعية على حدٍ سواء ، لأنها تضع للباحث الإطار التصوري لأبعاد و علاقات الموضوع الذي يقوم بدراسته ، وتحدد له المعطيات و كيفية تنظيمها و من ثم تصنيفها، و العلاقات و الترابطات و التداخلات فيما بينها ، أي أن النظرية تضع للباحث الاجراءات العلمية التي سيتبعها عند القيام ببحثه .

3- تقدم النظرية عددا كبيراً من المفاهيم التي تثري العلوم، وذلك لأن كل"مفهوم"يتضمن خبرة إجتماعية و علمية مميزة، إضافة إلى أنه يعد تلخيصاً لكثير من الحقائق التي تكون النظرية.

4- من الوظائف الهامة للنظرية القيمة العلمية التي تمنحها للبحث فجمع البيانات بالإعتماد على نظرية تدعم المعطيات و تفسر النتائج أمراً ضرورياً حتى لا يعد البحث ناقصاً و قاصراً ، و عليه فإن العلاقة الجدلية بين النظرية و البحث العلمي على قدر كبير من الأهمية يجب أن يراعيها الباحث عند القيام ببحثه .

5- تساعد النظرية على اتجاه الظاهرة مستقبلا، فالتنبؤ يعني الانتقال من المعلوم من الوقائع إلى الحالات المجهولة .

6- إمكانية الاستفادة من النظريات العلمية في مجال التطبيق. [1]

أهمية النظرية:

تكمن أهمية النظرية الاجتماعية في:

1- أنها شرط ضروري لتفسير وتحليل الظواهر الاجتماعية.

2-أنها تمدنا بالإجابة التفسيرية لأسباب حدوث الظاهرة.

3-تساهم في حل المشكلات الاجتماعية بطريقة علمية مدروسة.

4-تساعد على وصف وتحليل الواقع الإجتماعى تحليلا علميا دقيقا.

5-تساعدنا على إختيار التفسير المناسب لحدوث المشكلات الاجتماعية.

1- عبد الباسط عبد المعطي، **نفس المرجع**، ص11.

الفصل الثاني: النظريات السوسيولوجية المعاصرة

تمهيد

1- سوسيولوجية دوركايم ونظريته حول الانتحار

2 - الفلاح البولندي في أوروبا وأمريكا وليام ازاك توماس و فلوريان ولتورد زنانيكي

3- ميدل تاون: روبت و هيلين ليند

4 - تجارب هوثورن: مايو، روثلسبرجر، ديسكون

5 - دراسات يانكي سيتي: ويد وارنر

6- مجتمع في الشارع (مجتمع النواصي): وليام فوت وايت

7- الأزمة الأمريكية: جونار ميردال (Gunnar Myrdal)

8- اختيار الشعب: بول لازار سفيلد وآخرون

9- الجندي الأمريكي: صمويل ستوفر وآخرون

10- الهابيتوس: بيار بورديو

خلاصة

الخاتمة

1-إميل دوركايم: ولد إميل دوركايم في 15ابريل 1858م في بلدة ابينال بالقرب من سهل اللورين الذي يشتمل على بعض المدن الفرنسية، وفي أحضان أسرة يهودية نشأ دوركايم، فهو أحد أحفاد كبار أحبار اليهود، ولد في أسرة تنحدر أصلا من حاخامات المذهب الرباني اليهودي، الذين يدينون بالمذهب العبراني الجديد، ولذلك اتجه دوركايم منذ طفولته وصباه نحو دراسة التلمود والعهد القديم، كما درس أيضا العبرية والتاريخ، ثم هجر اللغويات كي يدرس تاريخ الأديان .

وبعد محاولتين فاشلتين تم قبوله بالمدرسة العليا سنة 1879 وفيها التقى بعدد من المفكرين الأوائل أمثال الفيلسوف الشهير "هنري برجسون"و"بيير جانيت"وكان من أبرز أساتذة المدرسة تأثيرا فيه "فوستيل دي كولانج" صاحب كتاب- المدينة القديمة-الذي أصبح فيما بعد مديرا للمدرسة،وفي عام1882 تخرج دوركايم من المدرسة ليشتغل في التدريس بالثانويات العامة[1]، وفي عام1878م ذاعت شهرة دوركايم، ثم انتقل للتدريس بجامعة بوردو وألقى دروسا في علم الاجتماع العائلي والجنائي وفي التضامن الاجتماعي والانتحار وفي التربية والدين، كما ألقى دروسا في تاريخ المذاهب السوسيولوجية وفي المسئولية والجزاء والتنظيم الاجتماعي للقبائل الاسترالية القديمة.

توفي دوركايم في 15نوفمبر1917م بعد الصدمة التي تلقاها بمقتل ابنه الوحيد في عمليات الحرب العالمية الأولى، الابن الذي خطط والده أن يكون وريثه العلمي ،ذلك أن دوركايم جعل ابنه يتخصص بموضوع علم اجتماع اللغة، وبعد مقتل ولده في الحرب، فقد إميل دوركايم أمل العيش في الحياة، فمات وهو يحمل الأفكار المرة عن الحياة وويلاتها وعدم استقرارها [2] .

يعتبر دوركايم احد دعائم الحركة العلمية في النصف الأخير من القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين، وهو الأب الشرعي لعلم الاجتماع التربوي، ومن أهم مؤلفاته :

1- تقسيم العمل الاجتماعي (1893)

2-قواعد المنهج في علم الاجتماع (1895)

3-الانتحار (1897) 4-التربية الخلقية (1903)
5-الصورة الأولية للحياة الدينية (1912) 6-علم الاجتماع والفلسفة (1924)
7-المجلة السنوية لعلم الاجتماع عام 1896م التي أصبحت المجلة الرئيسية للفكر الاجتماعي والبحث في فرنسا.

1- اميل دوركايم،**قواعد المنهج في علم الاجتماع**،ترجمة: محمود قاسم، مكتبة النهضة المصرية،1961،القاهرة، ص4
2- عبد الكريم غريب،**سوسيولوجيا التربية**،منشورات عالم التربية،المغرب،2000،ص220 بتصرف.

تحليل ظاهرة الانتحار سوسيولوجيا :

قدم دوركايم مفهوماً أكثر تحديداً وحيوية ، وعرّفه كحقائق اجتماعية غير مادية لها نفس الموضوعية والهيمنة على الفرد ، وقدم لذلك عدداً من الأمثلة "مثل الحماس، السخط والغضب داخل تجمع ما،بالرغم من أن التيارات الاجتماعية الأخرى أقل تحديداً من الحقائق الاجتماعية الأخرى لكنها تبقى حقائق اجتماعية، وقد أوضح دوركايم ذلك عندما ذكر"إنها تأتي لكل منا من حيث لا يدرى ويمكن أن تحملنا بعيداً رغم أنفسنا"[1].

شرح دوركايم فكرة التيارات الاجتماعية في كتابه (قواعد المنهج الاجتماعي) لكنه استخدمها كمؤشر توضيحي أساسي في دراسة ميدانية أصبحت نموذجاً لتطور الدراسات الميدانية الأمريكية، فالبحث الوارد في الانتحار، يمكن اعتباره محاولة لاستخدام الأفكار، التي طورت في (قواعد المنهج الاجتماعي) في دراسة ميدانية عن ظاهرة اجتماعية محددة هي الانتحار، ففي (الانتحار) أوضح دوركايم أن الحقائق الاجتماعية وخاصة التيارات الاجتماعية مستقلة عن الفرد وقاهرة له، وقد اختار دراسة الانتحار بدلاً عن العديد من الظواهر الاجتماعية الأخرى ،لأنها ظاهرة ملموسة ومحددة، يعتقد دوركايم أنه إذا تمكن من توضيح أن لعلم الاجتماع دور يلعبه في توضيح ما يبدو أنه فعل فردي مثل الانتحار، فإنه يصبح من الممكن توسيع مجال علم الاجتماع لدراسة ظواهر هي أكثر انفتاحاً للتحليل السوسيولوجى، فقد اختار دوركايم دراسة الانتحار لأنه إذا تمكن من إقناع المجتمع العلمي بدراسته لهذه الظاهرة سيكون لعلم الاجتماع فرصة أكبر في الحصول على الاعتراف من العالم الأكاديمي.

دوركايم كعالم اجتماع لم يك مهتماً بدراسة الفرد المنتحر،(الانتحار كحالة فردية)، هذا يجب أن يترك لعالم النفس، لكن دوركايم كان مهتماً بتوضيح التباين في معدلات الانتحار، أي أنه كان مهتما بالإجابة عن التساؤل" لماذا نجد مجموعة معينة لها معدل انتحار أعلى من الأخرى؟"، يفترض دوركايم أن العوامل البيولوجية، والنفسية الاجتماعية تبقى ثابتة من مجموعة لأخرى ومن وقت لأخر، وإذا كانت هنالك اختلافات في معدل الانتحار من مجموعة لأخرى أو من وقت لأخر، يرى دوركايم أن الاختلاف يرجع إلى العوامل الاجتماعية وتحديداً التيارات الاجتماعية.

وكملتزم بالبحث الميداني،لم يكتف دوركايم بإبعاد الأسباب الأخرى، التي ربما تؤدى إلى الاختلاف في معدلات الانتحار، وإنما قام باختبار تلك الأسباب ميدانياً .

1 - دور كايم اميل ، **قواعد المنهج في علم الإجتماع**، ترجمة: محمد قاسم، دار المعرفة الجامعية، مصر ،1988، ص 37.

بدأ كتابه عن الانتحار بسلسلة من الأفكار المغايرة عن أسباب الانتحار، من ذلك الحالة المرضية النفسية للفرد، العرق، الوراثة والمناخ،في حين أن دوركايم عرض قدراً واسعاً من الحقائق ورفضها كمسبب لاختلاف معدلات الانتحار، لكن حجته الأوضح والتي تنسجم مع مجمل تصوره ،كانت حول علاقة العوامل العرقية مع تلك الاختلافات، أحد أسباب رفض العرق هو أن معدلات الانتحار، تتباين وسط المجموعات ذات الأصل العرقي الواحد، وإذا كان العرق سبباً مؤثرا في تباين معدلات الانتحار، فيمكننا أن نفترض أن له أثراً مشابها على مختلف المجموعات، ودليل آخر ضد أهمية العرق في تباين معدلات الانتحار هو التغير في تلك المعدلات وسط عرق معين، عندما ينتقل من مجتمع إلى آخر، وإذا كان العرق حقيقة اجتماعية ذات علاقة يجب أن يكون لها نفس الأثر في مختلف المجتمعات، بالرغم من أن حجة دوركايم هنا ليست كافية جداً وربما تكون حججه حول العوامل الأخرى التي رفضها أضعف ، لكن هذا يعطينا فكرة عن طريقة ومدخل دوركايم في الرفض المدعم بمعلومات ميدانية لما يعتبره عوامل إضافية، مما مكّنه من الانتقال إلى ما يعتقد أنه العوامل الأكثر أهمية، إضافة إلى رفضه للعوامل سابقة الذكر، فقد درس دوركايم نظرية التقليد، التي تنسب إلى عالم النفس الاجتماعي الفرنسي جابريل تارد ورفضها، تقول نظرية التقليد أن الناس ينتحرون (ويدخلون في نطاق واسع من الأفعال الأخرى) لأنهم يقلدون أفعال الآخرين الذين انتحروا، هذا المدخل النفسي الاجتماعي غريب على علم الاجتماع، وعلى تركيز دوركايم على الحقائق الاجتماعية، لذلك لم يتردد دوركايم في رفضها، وحجته في ذلك بأنه إذا كان التقليد مهماً ،كان يجب أن تكون الأمم التي تجاور بلداً ذا معدل انتحار عال هي نفسها لها معدلات عالية، ثم نظر في المعلومات الخاصة بهذا العامل الجغرافي و خلص إلى أنه ليس له أي أهمية، آمن دوركايم أن انتحار بعض الأفراد ربما يكون بسبب التقليد، لكن هذا عامل ضعيف جداً وليس له أي تأثير على معدلات الانتحار الكلية، وبما أن التقليد عامل اجتماعي نفسي، لن يكون له في نسقه أية أهمية في تباين معدلات الانتحار الاجتماعية، وخلص إلى أن "معدلات الانتحار الاجتماعي يمكن توضيحها فقط سوسيولوجياً"[1] أي تحليل الاجتماعي بالاجتماعي، لأن العوامل الأهم في التغير في معدلات الانتحار، يجب أن توجد في الاختلافات على مستوى الحقائق الاجتماعية، و هنالك نوعان من الحقائق الاجتماعية - مادية وغير مادية-، مثلاً نظر دوركايم في أهمية الكثافة الحيوية في تباين معدلات الانتحار، لكنه وجد أن أثرها غير مباشر، لكن التباين في الكثافة الحيوية وفى الحقائق الاجتماعية

1- قرفي عبد الحميد ، **بناء المعرفة السوسيولوجية** ، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر، مهمل السنة،ص33.

المادية الأخرى، يؤثر على التباين في الحقائق الاجتماعية غير المادية ،وهذا له أثر مباشر على التباين في معدلات الانتحار، هنا يقدم دوركايم حجتين مترابطتين، فمن ناحية يقول أن المجموعات المختلفة لها ضمير جمعي مختلف وتمثلات جمعية مختلفة أيضاً، ومن ناحية أخرى هذا ينتج تيارات اجتماعية متباينة ذات أثر تباييني على معدلات الانتحار، وإحدى طرق دراسة الانتحار هي المقارنة بين مختلف المجتمعات أو الأنواع الأخرى من المجموعات، و دوركايم يرى أن التغير في الضمير الجمعي، يقود إلى تغير في التيارات الاجتماعية، والتي بدورها تؤدي إلى التباين في معدلات الانتحار، أدى هذا إلى الدراسة التاريخية للتغيرات في معدلات الانتحار ضمن مجموعة معينة.

كان دوركايم واضحا حول الدور الأساسي، الذي تلعبه التيارات الاجتماعية في تسبيب الانتحار" كل مجموعة اجتماعية لها استعداد جماعي للفعل خاص بها، وهو مصدر الاستعداد الفردي وليس نتيجته، وهو يتكون من تيارات الأنانيةأو الإيثار فاللامعيارية تتخلل كل المجتمع، هذه النزعات للجسم الاجتماعي ككل، وبتأثيرها على الأفراد تدفعهم إلى الانتحار "[1].

في نظرية دوركايم عن الانتحار وبنية تنظيره السسيولوجي، يمكن أن نرى بوضوح عند دراستنا لكل واحد من أنواع الانتحار الأربعة: الأناني، الإيثارى، اللامعيارى والقدري.

1-الانتحار الأناني: يحدث هذا الانتحار بسبب النزعة الفردية المتطرفة وانفصال الفرد عن المجتمع، حيث لا يجد الفرد من يسانده عندما تحل به أي مشكلة، فيصبح المقرر الوحيد لشؤونه الخاصة، وتصبح قضية الخطأ والصواب من القضايا التي يحددها الفرد نفسه، ولذلك سمي هذا النوع من الانتحار بالانتحار الأناني، فالمعدلات العالية من الانتحار الأناني غالبا ما توجد في المجتمعات، التي يكون فيها الفرد غير مندمج تماماً في الوحدة الاجتماعية الكبرى ، فالمجتمعات ذات الضمير الجمعي القوي تمنع التيارات الاجتماعية الوقائية والشاملة، التي تنبع من ذلك الضمير حدوث وانتشار الانتحار الأناني فيها، عندما تضعف هذه التيارات الاجتماعية يتمكن الأفراد وبسهوله من تجاوز الضمير الجمعي ويفعلون ما يريدون، وفي الوحدات الاجتماعية الكبرى ذات الضمير الجمعي الضعيف، يترك الأفراد للجري وراء مصالحهم الخاصة بأي طريقة يريدونها، مثل هذه الأنانية غير المكبوحة، غالبا ما تقود إلى قدر كبير من الاستياء والضجر، بما أنه لا يمكن إشباع كل الحاجات وحتى التي يمكن إشباعها تنتج حاجات أكثر وأكثر، كما أنها تنتج الاستياء المطلق للعديد من

1-بلانشي روبير،**نظرية المعرفة العلمية(الابستيمولوجيا)**،ترجمة:حسن عبد الحميدنديوان المطبوعات الجامعيةنالكويتن1987،ص63.

الناس كما تدفع بعضهم إلى الانتحار،لكن الأسر المندمجة بقوة،مثل(المجموعات الدينية، الجماعات السياسية) تتعامل كهيئات ذات ضمير جمعي قوي ولا تشجع الانتحار، فالدين يحمي الإنسان من الرغبة في تحطيم الذات، وما يكّون الدين هو وجود عدد من المعتقدات والممارسات التقليدية المشتركة بين كل المؤمنين، و لذا فهي ملزمة، وكلما تعددت هذه الحالة العقلية الجمعية وقويت، كلما ازداد الاندماج في المجموعة الدينية وكذلك ازدادت القيمة الواقية .

لقد تحدث "دوركايم" عن تفكك المجتمع الذي يقود إلى تيارات من الكآبة والخيبة ، والتفكك الأخلاقي للمجتمع يعرض الفرد لارتكاب فعل الانتحار، لكن لابد من وجود تيارات الكآبة لحدوث التباين في معدلات الانتحار الأناني، وما هو مثير للاهتمام أن "دوركايم" هنا يعيد تأكيد أهمية العوامل الاجتماعية، حتى في الانتحار الأناني الذي يعتقد فيه أن الفرد حر من كل قيود اجتماعية، الفاعلون ليسوا أحراراً أبداً من قوة الجماعة ،مهما كان الإنسان فرديا يبقي هناك دائماً شئ جماعي ،فحالة الانتحار الأناني تشير إلى أنه حتى في أكثر الأفعال فردية وخصوصية تكون الحقائق الاجتماعية هي المحدد الأساسي.

2 - الانتحار الإيثاري :

النوع الثاني من الانتحار الذي ناقشه "دوركايم" هو الانتحار الإيثاري،فالانتحار الأناني غالباً ما يحدث عندما يكون الاندماج الاجتماعي ضعيف جداً، والانتحار الإيثاري يحدث عندما يكون الاندماج الاجتماعي قوي جداً.

الفرد يجبر حرفيا على ارتكاب فعل الانتحار، مثل العمليات الانتحارية عند الجماعات المسلحة ، وبشكل عام فإن الذين يرتكبون فعل الانتحار الإيثاري يفعلون ذلك لأنهم يحسون أن ذلك هو واجبهم، وكما في حالة الانتحار الأناني درجة التكامل (في هذه الحالة درجة عالية) ليست السبب الرئيسي في الانتحار الإيثاري، ولكن التباين في درجة الاندماج ينتج تيارات اجتماعية مختلفة تؤثر في معدلات الانتحار، فمثلما في الانتحار الأناني اعتبر "دوركايم" أن التيارات الاجتماعية اليائسة ،هي سبب معدلات الانتحار الإيثاري العالية، في حين اعتبر أن معدلات الانتحار الأناني العالية، تنتج من التمزق والاكتئاب الحزين فإن الزيادة في معدلات الانتحار الإيثاري تأتي من الأمل،لأنها تعتمد على الاعتقاد في التصور الجميل لما بعد هذه الحياة.

3 - الانتحار اللامعياري:

النوع الأخير والأساسي من أنواع الانتحار الذي ناقشه "دوركايم" هو الانتحار اللامعياري ،ويحدث عندما تضطرب ضوابط المجتمع، وترتفع معدلات الانتحار اللامعياري إذا كانت طبيعة الاضطراب إيجابية (الانتعاش الاقتصادي مثلا) أو سلبية

(الكساد الاقتصادي)، كلا النوعين من الاضطراب، يؤدى إلى التعطيل المؤقت للجماعة عن أداء دورها السلطوي على الأفراد، فترات الاضطراب تطلق العنان لتيارات اللامعيارية ، فالإحساس بانعدام المعايير يقود هذه التيارات إلى الزيادة في معدلات الانتحار المعياري، ومن السهل تصور هذا في حالات الكساد، كإغلاق مصنع نتيجة للكساد الاقتصادي ربما يؤدي إلى فقدان وظيفة ، ونتيجة ذلك أن الفرد ينقطع عن تأثير ضوابط الشركة والوظيفة، والانفصال عن مثل هذه البنيات – الأسرة، الدين، الدولة مثلاً – يترك الفرد فريسة لأثر تيارات اللامعيارية، ويبدو أنه من الصعب تخيل أثر الانتعاش الاقتصادي، ففي هذه الحالة يمكن القول أن النجاح المفاجئ، ربما يقود الأفراد بعيداً عن البنيات التقليدية التي نشأوا فيها، والنجاح الاقتصادي ربما يقود الفرد إلى ترك عمله والانتقال إلى مجتمع جديد ، كل هذه التغيرات تؤدي إلى اضطراب أثر ضوابط البنيات الموجودة، وتترك الفرد في فترات الانتعاش الاقتصادي فريسة للتيارات الاجتماعية اللامعيارية، والزيادة في معدلات الانتحار اللامعياري خلال فترات اضطراب الحياة الاجتماعية منسجمة مع رؤية "دوركايم" عن الأثر الضار لنزوات الفرد عندما يتحرر من القيود الخارجية، فعندما يتحرر الناس يصبحون عبيداً لنزواتهم ونتيجة لذلك،يرى"دوركايم" أنهم يقومون بسلسلة واسعة من الأفعال المدمرة تشمل قتل أنفسهم بأعداد أكبر مما هو معتاد.

4 - الانتحار القدري :

هنالك نوع رابع من الانتحار لا يشار إليه كثيرا - الانتحار القدري – والذي ناقشه "دوركايم" في إحدى حواشي كتابه (الانتحار)، ففي حين اعتبر أن الانتحار اللامعياري يحدث في الحالات التي تضعف فيها الضوابط،فان الانتحار القدري يحدث في الحالات التي تكون فيها الضوابط متجاوزة للحد المرغوب فيه،ووصف "دوركايم" الذين يرتكبون فعل الانتحار القدري، بأنهم أشخاص مستقبلهم مغلق بقسوة، ونزواتهم خنقت بعنف عن طريق نظام قهري .

وخلاصة هذه النظرية، أنه في كل مجتمع توجد أنساق قيمية، تحدد الأهداف ووسائل تحقيقها للمشروع ، فاللامعيارية هي غياب عدالة الفرص في تحقيق هذه الأهداف، والبحث عن وسائل بديلة للنجاح، حتى وإن كانت غير مشروعة، هي بحث عن التكيف والجريمة، هي المدخل الأول لاختلال أنساق النظام بصفة عامة.

تقييم عام لنظريات دوركايم:

إن ميدان العلوم الاجتماعية بصفة عامة ،وحقل علم الاجتماع بصفة خاصة، غني جدا بالمناهج والنظريات المفسرة ككل الظواهر الاجتماعية، التي يحدثها الفرد كشخص أو كجماعات متفرقة ،

فنجد أن الظاهرة الاجتماعية الواحدة لها عدة تفاسير، ولكل مدرسة حججها وبراهينها، وكلما كانت نظرية أو مدرسة مفسرة لأسباب وعوامل حدوث الظاهرة الاجتماعية كلما خلفت ورائها مجموعات من الملاحظات والتعقيبات والانتقادات، والملاحظ في جميع هذه النظريات أنها لا تخلو من انتقادات، فهي " نظرية ضيقة الأفق، على حد تعبير (ألبيرت كوهن)- رغم طابعها السوسيولوجي ، إلا أنها تصور الأفراد الأنوميين مفصولين عن الواقع الاجتماعي وكأنهم في صناديق وليسوا في مجتمع " [1] لأنها لم تحدد بدقة الحالة الزمانية والمكانية أو الأوضاع الاجتماعية،التي تدعو إلى حالة الأنومي في المجتمع ، "فدوركايم" يرى أن للانحراف علاقة طردية بسرعة التغيير الذي يحدث في المجتمع، أما ميرتون فيرى أن الانحراف مرتبط طرديا بدرجة التجاذب الحادث بين السبل والأهداف الثقافية في المجتمع، في حين نرى في نفس النظرية وجهة رأي كلوراد ماكلوهن أنهما يعتمدان على متغيري الطبقة الاجتماعية وبناء الفرصة في المجتمع، كما أرجعا حالة الاغتراب عن المعايير الإجتماعية إلى حالات الفشل أو توقعه من قبل الأفراد في تحقيق أهدافهم، والملاحظ بصفة عامة عن "نظرية الأنومي" أن " الأهداف وبخاصة المادية تلعب دورا بارزا في تفسير الجريمة، خاصة إذا أصيب البناء الاجتماعي بدرجات عميقة من التغير يمتد إلى وسائل الضبط الاجتماعي" [2].

وينطلق إميل دوركايم، في كتابه (الانتحار)[3]، من نتيجة أساسية، وهي أن الانتحار ليست ظاهرة نفسية أو عضوية، بل هي ظاهرة مجتمعية، مرتبطة بتقسيم العمل في المجتمع الرأسمالي الصناعي وبالتالي، يتحدد معدل الانتحار بحسب درجة اندماج الأفراد في الجماعة، والعلاقة بينهما علاقة علية أو سببية،أما فيما يخص اهتمامه بالجوانب الدينية، فقد رفض التفسير الفردي والاجتماعي للظاهرة الدينية، فاعتبرها ظاهرة اجتماعية، يمكن دراستها دراسة علمية موضوعية، كما يبدو ذلك جليا في كتابه (الصور الأولية للحياة الدينية) الذي ظهر سنة 1912 [4]، وقد توصل في كتابه إلى أن التدين ظاهرة جماعية؛ لأن فكرة المقدس موجودة في جميع العقائد والأديان ومن ثم، فالمقدس نتاج الحياة الجماعية وبالتالي، فالدين هو المجتمع نفسه، ويعني هذا أن المجتمع هو الذي يولد طبيعة التفكير الديني لدى الفرد ومن ثم، يترادف الدين مع المجتمع.

1- نبيل رمزي ، **النظرية السوسيولوجية المعاصرة، أصولها الكلاسيكية واتجاهاتها المحدثة (قراءات وبحوث)**، دار الفكر الجامعي، بدون بلد النشر، 1999، ص 347.

2 - نفس المرجع ، ص 357.

_____ 3-Émile Durkheim:**Le Suicide: Étude de sociologie**, Paris, Presses universitaires de France, coll. « Quadrige » (n° 19), 1981, 463 p.

4-- Durkheim, Émile. **Les formes élémentaires de la vie religieuse,** Presses Universitaires de France, 5e édition, 2003. p. 604

2- الفلاح البولندي في أوروباوأمريكا (Polish Peasant in Europe and America)

ل : وليام ازاك توماس و فلوريان ولتورد زنانيكي:

فلوريان ويلتورد زنانكى عاش من 1882-1959ولد في بولندة التي كانت واقعة في ذلك الوقت تحت الاحتلال الألماني، وكان من أوائل علماء الاجتماع البولنديين الذين شاركوا في إنشاء المعهد البولندي لعلم الاجتماع، والمجلة البولندية لعلم الاجتماع، وفى عام 1914 اشترك مع وليام إيزاك توماس في وضع كتاب الفلاح البولندي في أوربا وأمريكا، وهي الدراسة التي كانت رائدة في استخدام بعض المناهج والأدوات الجديدة (كالمذكرات الشخصية، وتواريخ الحياة، والخطابات)، كما كانت رائدة في استخدام المعامل الإنساني الذي يأخذ في الاعتبار دائما معاني المشاركين في التفاعل الاجتماعي، وكذلك زادت هذه الدراسة البدايات الأولى للوصف المنظم للمجتمع،وقد طور زنانيكى تلك المناهج والأدوات في كتبه التي نشرها بعد ذلك، مثل: الواقع الثقافي، العلاقات الاجتماعية والأدوار الاجتماعية الصادر عام 1965.

أما وليام ازاك توماس William Isaac Thomas (1863-1947)

فينتمي إلى الجيل الأول من الباحثين المنتمين لمدرسة شيكاغو، حيث التحق بالجامعة كأستاذ مساعد منذ سنة 1897 ثم أستاذا مشاركا في سنة1900 ،وقد جاء إلى السوسيولوجيا عن طريق الفلسفة وعلم النفس الإجتماعي،حيث سبق أن درس هذه المواد في جامعة برلين، وقد تأثر بالمناخ الفكري السائد آنذاك في الجامعة الألمانيةن التي ينتمي اليها جيل المؤسسين، وقد تأثر خلال سنوات تكوينه بمؤلف ‘‘مبادئ في علم الإجتماع’’ هربرت سبينسر الذي قرأه حين كان طالبا وحدد توجهاته المعرفية لاحقا، وتظهر النزعة النفسية الإجتماعية في أعماله الأولى، التي تناول فيها قضايا تهم النوع والإختلافات الجنسية ومدى تأثيرها في السلوك ، مثل أطروحته لنيل الدكتوراه التي تحمل عنوان الاختلافات الجنسية والمجتمع عام 1896،وهو تقريبا

نفس مؤلفه الأساسي الجنس والمجتمع (1907)، ولعل هذا التوجه النفسي الإجتماعي هو الذي سيدفعه لاحقا لاستعمال المنهجية المعتمدة على السيرة الذاتية وقراءة الوثائق والمراسلات الشخصية، كوسيلة لاستخراج المعلومة والحصول على معطيات أساسية و موثوقة، وقد استعمل هذه المنهجية بنجاح في البحث الواسع الذي أشرف على إنجازه حول المهاجرين ذوي الأصول البولندية بمساعدة فلوريان زاننكي والذي نشره تحت عنوان ‘‘الفلاح البولندي’’، ويعتبر هذا البحث الذي قامت بتمويله مؤسسة خاصة، أول بحث ميداني جدي في السوسيولوجيا الأميريكية ، وقد طبق الباحث بنجاح هذه المنهجية في دراسة عدد من المواضيع من بينها وضعية المرأة والعلاقة بين الجماعات العرقية، وموضوع الجريمة وظاهرة الفوضى الإجتماعية، والجدير بالذكر أنه قد سبق أن اشرف على إدارة المجلة المشهورة ،كما تم تعيينه سنة 1927 رئيسا شرفيا للجمعية الأميريكية لعلم الإجتماع.

في عام 1905 حصل **"وليام ازاك توماس"** الأستاذ بجامعة "شيكاغو" على منحة ضخمة من مؤسسة خاصة لدراسة المشكلات المرتبطة بالهجرة الأوروبية إلى الولايات المتحدة، وبعد ذلك بقليل قرر أن يركز على الفلاحين البولنديين الذين يشكلون نسبة كبيرة من السكان

الأجانب في "شيكاغو"، ويمثلون مشكلة بارزة،وفي إحدى رحلاته إلى بولندا تعرف على **"فلوريان ولتورد زنانيكي"** الشاعر والفيلسوف، ونظم إجراءات سفره إلى الولايات المتحدة ليعمل معه في هذا المشروع البحثي، وقد نشر تقريرهما المشترك بعد الحرب العالمية الأولى مباشرة[1].

وتتكون البيانات الخام من مجموعة ضخمة من الوثائق: خطابات شخصية، وقصص صحفية، واستمارات التقدم لجمعية الهجرة، و"تاريخ الأبرشية parish historiek"، وإحصاءات الروابط البولندية- الأمريكية، وسجلات القضايا من المحاكم والمؤسسات الإجتماعية، ولا نعرف عدد الوثائق المجموعة، غير أن ما يزيد عن ألف منها موجودة في كتاب "الفلاح البولندي في أوروبا وأمريكا" بما فيها سيرة ذاتية طويلة ومثيرة لمهاجر اسمه "ولاديك Wladek"، وفي رأي المؤلفين أن سجلات الحياة الشخصية تعد "أكثر أنماط بيانات علم الاجتماع اكتمالا"[2]. ويمثل المنهج الرئيسي في نمط من أنماط تحليل المضمون، وهو البحث في الوثائق عن شواهد على الاتجاهات والقيم التي يعتنقها الأشخاص الذين تشير إليهم الوثائق.

وتعد الاتجاهات والقيم بمثابة المصطلحات الأساسية في هذه الدراسة، والقيم الاجتماعية عند **"توماس و زنانيكي"** عبارة عن شيء يشبه الظواهر الاجتماعية عند دوركايم، فالقيمة الاجتماعية هي شيء – مادي أو غير مادي- يعد مفيدا لأعضاء الجماعة الاجتماعية، يعترف **"توماس و زنانيكي"** بأي تفسير في علم الاجتماع يتجاهل الظواهر الاجتماعية أو الدوافع الفردية، حيث يقولان: "إن سبب القيمة أو الاتجاه لا يمكن أن يكون الاتجاه أو القيمة وحده ولكنه دائما مزيج من الاتجاه والقيمة"[3].

ويتحقق المزج بتبيين الاتجاهات الفردية والقيم الاجتماعية لدى كل فرد بواسطة عدد ضخم من الرغبات التي يمكن إشباعها في المحيط الاجتماعي فقط، ويمكن حصر الأنماط العامة للرغبات في أربعة:

1- الرغبة في اكتساب خبرات جديدة.

2- الرغبة في كسب الاعتراف، وهذه تشمل الاستجابة الجنسية والتقدير الاجتماعي العام.

3- الرغبة في السيطرة، وهذه تشمل الملكية والقوة السياسية.

4- الرغبة في الحماية، وهذه تشمل تدعيم الزملاء وصحبتهم.

وقد عرفت هذه الرغبات الأربع المشهورة في صياغة أخرى قدمها "توماس" فيما بعد، حيث استبعد الرغبة في السيطرة، وأصبحت الرغبات الأساسية هي: اكتساب خبرات جديدة، وكسب الاعتراف، والاستجابة، والحماية.

---

[1] Willian thomas and Florian zaniecki, the Plish Peasant in europe and Amirica, 2Vols, NEW York, knopf, 1927. Republished in facsimile New york, Dover, 1920.

[2] - نفس المرجع ، ص ص18- 23 بتصرف .

[3] - نفس المرجع ، ص44.

وكما يبدو واضحا من عنوان الكتاب: "الفلاح البولندي في أوربا وأمريكا"، فإنه يحلل وضع الفلاحين البولنديين في هاتين القارتين، ومع أن التركيز انصب على أوربا، فإن التغير الاجتماعي كان محور الاهتمام في هاتين القارتين، وتعد الجماعة الأسرية في القرية البولندية التقليدية هي الفاعل الاجتماعي الأساسي، ويخضع الأفراد لها إلى أبعد حد ممكن،وتعد واجبات أعضاء الأسرة تجاه بعضهم بعضا مسألة التزام لا مسألة عاطفية، ويتم ترتيب الزواج بين الأسر، ولا تحظى المعاشرة الجنسية بأي قيمة مستقلة، ومن الناحية العملية تعد الأسرة الجماعة الاجتماعية المنظمة الوحيدة التي ينتمي إليها الفلاح، وليست علاقات الأسرة بجيرانها من الأسر علاقة وثيقة، غير أن هناك تضامنا قويا في كل قرية، لأن جميع الفلاحين يعتنقون نفس الآراء حول أدوارهم وعلاقاتهم، كما يؤمنون بنفس المعتقدات حول الدين والسحر،وينعزل هذا المجتمع بهذه الصورة التقليدية انعزالا واضحا عن المؤثرات الخارجية، ولا توجد أرسقراطية مالكة للأرض تتحكم فيه، كما يوجد عدد محدود من المدن المجاورة.

وقد أوضحا **"توماس و زنانيكي"** كيفية تحطم هذا النمط بفعل التغيرات الاقتصادية والمؤثرات الأخرى الخارجية التي أضعفت تضامن الأسرة والقرية، مما ساعد الأفراد على تكوين اتجاهات جديدة تتعارض مع القيم الأسرية، كما أدت ظهور التباين في الآراء والمعتقدات والتوجيهات الاقتصادية في القرية، ويعرفان "التفكك الاجتماعي" بأنه تقلص تأثير المعايير الجماعية على أعضاء الجماعة ويوضحان أن هذا التفكك أصبح يميز كل جانب من جوانب المجتمع القروي في بولندا بعد عام 1900 مما أدى إلى عملية إعادة التنظيم Reorganisation، ففي الأسرة حلت القيم والاتجاهات المرتبطة بالمتعة Hedonistic محل التضامن الأسري، وفي القرية حل السعي نحو النجاح والتفوق الاقتصادي محل الروح الجمعية المحافظة القديمة، كما شهد المجتمع الأكبر في بولندا نمو طبقة وسطى جديدة وتعاظم الروح القومية، وتحرير المعتقدات الدينية، وظهور الحركات الثورية، وتعاظم انتشار الأفكار الجديدة من خلال التعليم والصحافة.

وقد ظهرت صورة أكثر تطرفا للتفكك عندما هاجر الفلاحون إلى الولايات المتحدة تاركين وراءهم قراهم البولندية، كما استقلوا عن أسرهم أيضا، ويوضح **"توماس و زنانيكي"** أن المهاجرين لم يدخلوا المجتمع الأمريكي مباشرة، فقد كان مجتمعهم الأول مكونا من المهاجرين الآخرين، وكان العالم الذي دخلوه عالم المهاجرين البولنديين – الأمريكيين وليس عالم الأمريكيين الوطنيين، وهنا نجد مرة ثانية أن التفكك تبعه إعادة تنظيم وظهور اتجاهات وقيم جديدة، فقد ظهرت جمعيات المهاجرين، والأبرشيات البولندية والجمعيات الخيرية، والنظام التعلمي التابع للكنيسة، والروابط البولندية – الأمريكية لتحل جزئيا محل الدعائم الجماعية التي افتقدها المهاجرون بيد هذه الجماعات الأولية القديمة، ويشيع بين الفلاحين البولنديين في الولايات المتحدة التفكك الفردي، الذي يعرفه **"توماس و زنانيكي"** بأنه افتقاد الفرد المقدرة على تنظيم حياته من اجل تحقيق أهدافه الخاصة، وليس التفكك

الفردي، هو نفسه التفكك الاجتماعي على الرغم من الترابط بينهما، إذ يصبح بعض الأفراد مفككين عندما يسود التفكك الاجتماعي، في حين يتمكن بعض الأفراد الآخرين من ابتداع أنماط جديدة وناجحة للفعل[1].

وتتمثل الصورة المميزة للتفكك الفردي بين الفلاحين البولنديين في الولايات المتحدة في: الإعالة الاقتصادية، وتقوض العلاقات الزواجية، والقتل، وانحراف الأحداث، ويمكن الاستشهاد على الطريقة التي فسر بها **"توماس و زنانيكي"** المشكلات السلوكية بالكشف عن الاتجاهات والقيم الكامنة وراءها من خلال الاقتباس التالي الذي يناقشان فيه نتائج الجهود، التي تقوم بها المحاكم والمؤسسات الاجتماعية للحيلولة دون انهيار أسر المهاجرين.

ويعد البولنديون – الأمريكيون اليوم في الغالب مواطنين ينتمون إلى الجيل الثالث أو الرابع، الذي لا يعاني مشكلات تخصه وحده، غير أن التحليل السابق لا يزال ينطبق على بعض المهاجرين الجدد والمهاجرين الذين يقيمون في قاع المدينة.

3- ميدل تاون: روبت و هيلين ليند

تلقى **"روبرت ليند"** تعليمه ليصبح كاهنا في الكنيسة البروتستانتية، وفي أوائل العشرينات قام هو وزوجته بإجراء مسح عن الأنشطة والممارسات الدينية، في مجتمع محلي أمريكي نمطي، وكان المكان الذي اختاره هو مدينة"مونسي Muncie" بولاية "انديانا"، وهي مدينة صناعية صغيرة يبلغ عدد سكانها حوالي 40 ألف نسمة، وهي تقترب كثيرا من مكان ميلاد **"روبرت ليند"**،وقد استبدل اسم هذه المدينة باسم مستعار "ميدل تاون Middletown"، وسرعان ما تجاوزت الدراسة هدفها الأصلي، واتسعت لتغطي جميع الجوانب الأساسية

1- الجوهري محمد،**نفس المرجع**،ص ص123-124

للحياة الاجتماعية المنظمة تحت ستة عناوين هي: كسب القوت، وتأثيث المنزل، وتنشئ' الصغار، واستخدام وقت الفراغ، والمشاركة في الممارسات الدينية، والمشاركة في أنشطة المجتمع المحلي، وتنقسم كل فئة من هذه الفئات إلى أقسام أخرى، فعلى سبيل المثال نجد أن مناقشة أنشطة المجتمع المحلي في "ميدل تاون" شملت وسائل الإدارة الحكومية، والمحافظة على الصحة ورعاية المعوقين، والحصول على المعلومات، والعوامل المفضية إلى تضامن الجماعة وكذا العوامل المؤدية إلى إعاقة هذا التضامن.

وقام "ليند وزوجته" ومعاونيهما بفتح مكتب في مبنى محلي ،لجمع البيانات لمدة استغرقت ثمانية عشر شهرا، وخلال تلك الفترة شارك "ليند وزوجته" قدر الإمكان في جميع جوانب الحياة بالمجتمع المحلي، واعتمد التقرير النائي للبحث على مزيج من البيانات الرسمية والانطباعات غير الرسمية، وقامت الدراسة على مقارنة دقيقة بين ""ميدل تاون المعاصرة" (1925-1924) و"ميدل تاون" منذ جيل مضى (1890).

وبالإضافة إلى المعلومات التي حصل عليها "ليند وزوجته" باستخدام الملاحظة بالمشاركة، قاما بفحص البيانات الوثائقية، وجمع الإحصاءات، وإجراء المقابلات،

والاستعانة بالاستبيانات، ومن بين الوثائق المكتوبة نجد تقارير التعداد، وسجلات المدينة والإقليم، وملفات المحاكم، وسجلات المدارس، وتقارير الولاية وكتبها السنوية، والصحف، ومحاضر الاجتماعات، واليوميات الشخصية، وسجل القصاصات، والأحداث المحلية، ودليل المدينة، والخرائط، وحوليات المدرسة الثانوية، وشمل برنامج المقابلات محادثات ومقابلات مخططة مع أبرز الإخباريين، ومسح لعينة من أسر الطبقة العاملة، وعينة أخرى من أسر طبقة رجال الأعمال.

وكان "كتاب ميدل تاون" أول كتب علم الاجتماع، التي أصبحت من الكتب الأكثر مبيعا، حيث طبع منه ست طبعات في السنة التي ظهر فيها، وحظي بمناقشات حامية في أرجاء الولايات المتحدة خاصة في "ميدل تاون"، وأصبح مؤلفا هذا الكتاب مشهورين بين عشية وضحاها، وقد حصل **"ليند"** بسبب إسهامه في هذا العمل على الدكتوراه من جامعة كولومبيا، وعين أستاذا لعلم الاجتماع بها عام 1931.

وفي هذا الوقت فاجأ الكساد العظيم الولايات المتحدة الأمريكية، وجميع مدنها التي تشبه "ميدل تاون" وفي عام 1935 عاد "ليند وزوجته" إلى "مونسي" مع مجموعة كبيرة من المعاونين، لدراسة تأثير الكساد ورصد التغيرات ،التي أصابت كل نظام من النظم الاجتماعية، وكانت المناهج المستخدمة في هذا البحث الثاني أكثر اختصارا من مناهج البحث الأول، وقد نشر كتاب "ميدل تاون المتغيرة" بعد سنتين فقط، وكان التغير الذي انتاب "ليند وزوجته" يفوق التغير الذي أصاب مجتمع الدراسة، ففي الفترة الواقعة بين الدراستين تقبلا وجهة النظر الماركسية للبناء الاجتماعي، وأصبحا يؤمنان الآن بأن العلاقات المتصلة بكسب القوت ،هي التي تحدد بناء النظم الإجتماعية الخمسة الأخرى، بالإضافة إلى القيم والمعتقدات السائدة، لقد اهتزت ثقتهما القديمة في أسلوب المعيشة في "ميدل تاون" وفي قدرته على التلاؤم، وكان ذلك بدرجة أقوى من اهتزاز ثقة السكان في هذا الأسلوب، ولم يقتصر الأمر على وصف "ليند وزوجته" للتغير الضخم الذي أصاب "ميدل تاون" عام 1935 كما سوف يتضح من بعد، بل إنهما عدلا من وصفهما لهذا المجتمع عام 1925 بشكل أصبحت الملاحم السلبية أكثر وضوحا [1].

ومن النتائج الأساسية للدراسة الأولى، الانقسام الحاد للمجتمع المحلي إلى طبقة رجال الأعمال، التي تحصل على معظم دخلها من العمل مع الناس، وطبقة العمال التي تحصل على معظم دخلها من العمل مع الأشياء، وتختلف هاتان الطبقتان اختلافا حادا بدرجة تفوق ما يدرسه أعضائها ويتضح هذا الاختلاف في فرص الحياة، ونظام المعيشة اليومي (الروتين اليومي)، والعلاقات الأسرية وكذلك المعتقدات الدينية والسياسية إلى حد ما، وتتشابه عادات أفراد الطبقة العاملة في بعض الجوانب مع عادات أفراد طبقة رجال الأعمال من الجيل الماضي، وتظهر السمات الثقافية الجيدة في طبقة رجال العمال أولا، ثم تنتقل ببطء إلى طبقة العمال.

وكان تأثير هاتين الطبقيتين بالتغيير الاجتماعي بدرجة غير متكافئة، كما كان الصغار أكثر استجابة لهذا التغير من والديهم، وكانت النساء أكثر استجابة من الرجال خاصة في طبقة رجال الأعمال.

تظهر الحياة في "ميدل تاتون" في كل جانب تقريبا بعض التغيرات أو بعض الضغوط الناتجة عن الفشل في التغير، ويقف الفرد بإحدى قدميه على أرض صلبة من العادات النظامية الراسخة، ويجري بقدمه الأخرى على سلم يتحرك في اتجاهات عديدة بسرعات مذهلة، وتتوقف المعيشة في مثل هذه الظروف أولا وقبل كل شيء على تحقيق قدر من التوازن.

وفي عام 1935 كانت "ميدل تاون" قد بدأت تصحح وضعها الناتج عن انهيار الصناعة، والبطالة السافرة، والخسارة في الممتلكات ،التي حدثت خلال السنوات الخمس الماضية، وتعطل التقدم الاقتصادي للمجتمع المحلي تعطلا كاملا، وأصبح حوالي ربع الأسر يعيش على المساعدات العامة، وانخفضت أعداد الزيجات والولادات، وتوقف تشييد المباني الجديدة، وشهد نظام العمل تحولا بفعل القواعد الفيدرالية، وانتشار الحركة النقابية بين العمال، والصراعات الكامنة في القيم داخل مجتمع "ميدل تاون" مثل الصراع بين الفردية و المسؤولية الجمعية، ذلك الصراع الذي شق طريقه وطفا على السطح.

1- الجوهري محمد،**نفس المرجع**،ص 132

وقد اتخذ "ليند وزوجته" من الأوهام مجرى طبيعيا موازيا، فقد اكتشف ملامح بغيضة للحياة في "ميدل تاون" تغاضيا عنها أو صوراها بدرجة أقل من الواقع عام 1925، ففي مناقشة الدعارة أوضحت الدراسة الأولى انحسارها، ووجود بيتين أو ثلاثة لممارسة الدعارة في الخفاء، وبعد عشر سنوات اكتشف "ليند وزوجته" أن ميدل تاون كانت في عام 1925 تمثل مركزا للدعارة لإقليم كبير وأنهما فشلا في ملاحظة وجود منطقة حي البغاء بجانب حي الأعمال، وعلى نحو مشابه أصبح "ليند وزوجته" على دراية بأن نسبة كبيرة من السكان كانوا يعيشون في مساكن متهدمة لا توجد بها مياه نقية أو تدفئة كافية، وأن إدمان المسكرات كان منتشرا عام 1925، وأن التعصب ضد الزنوج كان يمثل مرضا مستوطنا، وأن الصحافة المحلية كانت تتعرض للمناورات ولمؤثرات غير قويمة، وأن النهر كان ملوثا بدرجة خطيرة[1].

والأهم من ذلك أن ليند وزوجته، أعادا النظر في وجهة نظرهما السابقة ،حول البناء الطبقي لتأخذ في الإعتبار، دور الأسر ذات النفوذ التي كانت تمتلك الصناعة المحلية الرئيسية، والتي كانت تمارس نوعا من السيطرة على المجتمع المحلي برمته من خلال علاقاتها الإستراتيجية مع البنوك الرئيسية، والمكاتب القانونية، ومجلس التعليم، والجمعيات الخيرية، والكنائس، والصحافة، وجود طبقة عليا ناشئة تتكون من رجال الصناعة الأثرياء،

وأصحاب المديرين المحليين للشركات الوطنية، وقلة ثرية تابعة لهذه الجماعات، ويقسمان الآن طبقة رجال الأعمال إلى طبقة

وسطى – عليا مؤلفة من أصحاب المصانع، والتجار، وأصحاب المهن الفنية المتخصصة، والمديرين التنفيذيين، وطبقة وسطى – دنيا تتألف من صغار باعة التجزئة، والعاملين بالخدمات، وأصحاب المهن الفنية.

ولم يخلص "ليند وزوجته" من هذه التقسيمات الحادة إلى أن الحرب الطبقية على وشك الحدوث، بل يبدو من المحتمل أن تسير "ميدل تاون" في الطريق الوسط المعتاد، وتتكيف بعناد مع التغيرات اللازمة وتشكل مستقبلها من خلال عمليات التوفيق والحلول الوسطى.

1- الجوهري محمد،**نفس المرجع**،ص 133

4- تجارب هوثورن: مايو، روثلسبرجر، ديسكون

جورج التون مايو (1880-1949) أحد علماء علم الإدارة المشهورين، وقد قام بتجاربه على العمال في مصانع هوثورن بشيكاغو كان الهدف من التجارب معرفة أثر البيئة المحيطة بالعمل على الإنتاجية ، وقد أكد مايو وزميله (روثليز برجر) أن حل المشاكل الإنسانية في العمل يتم عن طريق الاهتمام بالعنصر الإنساني ودراسة سلوكه" وبذلك انطلقت مدرسة العلاقات الإنسانية من قاعدة أساسية أهملتها المدرسة الكلاسيكية وهي" إنسانية الفرد وكذا علاقته بالجماعة (من خلال دراسة السلوكيين ثم المدرسة الاجتماعية) حتى ولو تم توفير جميع الشروط المادية، يمكن أن يحقق الاهتمام بالفرد نتائج قد تكون أحسن من الأولى، وبذلك تستطيع أن يحقق إنتاجية أكبر، وهذه العلاقات بين الأفراد لا تكون في إطارها الرسمي عن طريق السلطة إنما على أساس الثقة المتبادلة والتعاون المشترك، وكانت أهداف الأفراد تتماشى مع أهداف المؤسسة.

أجريت "تجاري هوثورن" التي عرفت أيضا بدراسات شركة "ويسترن إليكتريك" في مصنع بشركة ويسترن إليكتريك في دائرة هاوثورن بمدينة شيكاغو في الفترة من 1927 إلى 1932، تحت إشراف مشترك من بعض العاملين بالشركة وفريق من الباحثين بجامعة

هارفارد بقيادة "**إلتون مايو**"، وقد نشر تقرير البحث النهائي تحت عنوان "الإدارة والعمال"[1] عام 1939 من تأليف "**روثلسبرجر**" و"**وليام ديسكون**"، غير أنه موجزا بالنتائج ظهر قبل ذلك بعدة سنوات في كتاب "**مايو**"الموسوم ب: "المشكلات الإنسانية للحضارة الصناعية"، كما نشر من قبل أيضا تقرير إحصائي تفصيلي من تأليف "**وايت هيد**"[2].

1- F.J.Roethlisberger and William, J. Dickson (with Harlo A. Wright), Management and the Worker, Cambridge, Mass, Havard University Press, 1939.

2- وقد صدر هذا الكتاب في طبعته الأولى عام 1933 عن دار ماكسميلان بنيويورك،وكان هذا المشروع بمثابة ثمرة بحث سابق عن التعب في العمل الصناعي الذي كان يجري بمعمل دراسة التعب بجامعة هافارد وكان مدير المعمل آنذاك لورانس هندرسون، المتخصص في الكيمياء الحيوية، كما كان يقدم في بعض الأحيان محاضرات في علم الاجتماع، وهو يشغل مكانة متميزة في تاريخ البحث الاجتماعي في الولايات المتحدة، وقد تولى بالتشجيع والتوجيه البحوث الأولى التي قام بها كل من بارسونز، ووايت، وبيرنارد، وأرنسبرج، وهومانز، وغيرهم، ثم انتقل إلتون مايو إلى هافارد وبدأ تعاونه مع هندرسون في عام 1962، وفي العام التالي مباشرة 1927بدأ مشروع بحث ويسترن إليكتريك.

ومع أن "**مايو**" قدم عرضا مختصرا مبسطا للنتائج، فقد صاغها في منظور أوسع يوضح صلتها بمفهوم الأنومي عند "**دوركايم**"، وتأكيد "**باريتو**" على أهمية النظريات غير المنطقية في شؤون الحياة اليومية الإنسانية، وإيكولوجية شيكاغو، والنتائج الأولية لدراسة "يانكي سيتي"، والنظريات النفسية عند **جانيت** و"**فرويد**" و"**بياجيه**"، وسلوك السكان الأستراليين الأصليين وسكان "جزر التروبياند"، وقد جمع "**مايو**" أفكارا رئيسية من هذه المصادر العديدة ليضمها إلى نتائج "تجارب هوثورن" بما يدعم إدعاءه الرئيسي، وهو أن الصناعة تحتاج إلى مستوى رفيع للغاية في القدرات والمعارف الإدارية من أجل المحافظة على الإتصال والتعاون الوثيق المطلوبين لكفاية الإنتاج والسعادة الشخصية للعمال.

وشركة "ويسترن إليكتريك" شركة تابعة للشركة الأمريكية للتليفون والتلغراف، وهي تصنع معظم المعدات التي تحتاجها الشركة الأم، ومصانع "هوثورن" شركة ضخمة تعمل في إنتاج المعدات التليفونية بكميات ضخمة، وأثناء القيام بالدراسة كانت نسبة كبيرة من قوة العمل تتكون من الأجانب أو أبناء المهاجرين، وكانت نقابة العمال وقتها ضعيفة غير مؤثرة، ومع ذلك لم تكن تبذل أي محاولات جادة لدعم كيان النقابة وتقويتها.

وتتكون تجارب "هوثورن" من خمس دراسات مستقلة لكل منه منهاجا ونتائجها المختلفة، وكلها تسلم إلى نتيجة مفادها أن إنتاج العمال يتحدد بدرجة كبيرة بطبيعة العلاقات الاجتماعية مع أقرانهم من العمال ومع المشرفين، وهذه الدراسات الخمس هي:

1- تجارب الإضاءة. 2- حجرة اختبار خط التجميع المناوب (أي القائم بالعمل وقت البحث). 3- برنامج المقابلات. 4-تقسيم المجموعات إلى فرق. 5-حجرة ملاحظة شبكة الأسلاك.

وسوف نناقش ثلاثا فقط من هذه الدراسات فيما يلي:

1- تجارب الإضاءة: أجريت هده التجارب من قبل على يد المسؤولين عن شركة "ويسترن إلكتريك" قبل وصول فريق جامعة هارفرد، وصممت هده التجربة بغرض الكشف عن علاقة الإضاءة بالكافية الصناعية، وتم في التجربة الأولى زيادة مستوى الإضاءة بدرجات بطيئة في ثلاثة أقسام تؤدي مهاما مختلفة، وتبين في قسمين من هذه الأقسام أن الكفاية تزيد في تحسن الإضاءة، في حين لم يتضح أي تأثير للإضاءة في القسم الثالث تم اختيار مجموعة واحدة لتعمل في إضاءة متغيرة، وتم مضاهاة هذه المجموعة الضابطة تعرضت لإضاءة ثابتة قدر الإمكان، وكانت النتائج مباغتة، حيث زادت الإنتاجية في المجموعتين التجريبية والضابطة بنفس القدر تقريبا، وفي التجربة الثالثة تم تعريض المجموعتين: التجريبية والضابطة لإضاءة صناعية لاستبعاد الاختلاف في كمية ضوء النهار الواصل إليها، وتم تخفيض مستوى الإضاءة بالتدريج في حجرة المجموعة التجريبية.

وتبين للمرة الثانية أن كفاية المجموعتين: التجريبية الضابطة تزيد بنفس المعدل تقريبا، ولم يبدأ الإنتاج في الانخفاض إلا بعد أن قام الباحثون بتخفيض الإضاءة في المجموعة التجريبية إلى مستوى ضوء القمر تقريبا، بحيث لم يعد العمال قادرين على رؤية المواد التي يعملون فيها إلا بصعوبة.

ويتضح من هذه التجارب أن الإضاءة تؤثر تأثيرا ضئيلا في الإنتاج، وأن الزيادة الملحوظة في هذا الإنتاج أثناء التجارب لابد أنها تعود إلى عامل آخر، وتحدد هذا العامل الخفي بتأثير عملية البحث نفسها أو ما أطلق عليه "تأثير هوثورن"، ووفقا لهذا التفسير (الذي لم يقبله الباحثون الأصليون)، فإن العمال تعرضوا لبرنامج تجريبي، وأن الاهتمام الشخصي الذي نالوه مع البرنامج كان له تأثير في تغيير حالة اللامبالاة والمسافة الاجتماعية في علاقاتهم الطبيعية مع الإدارة وتوصيلهم إلى حالة دفعتهم إلى العمل الجاد، وبالتالي زاد الإنتاج بغض النظر عن مقدار التحسن في ظروف العمل المادية التي أحدثتها التجارب، وقد لوحظ ظهور تأثير هوثورن في مؤسسات أخرى كالمدارس، والمكاتب، والمستشفيات، والسجون وأماكن أخرى فضلا عن المصانع طبعا.

2- برنامج المقابلات: انبثق برنامج المقابلات في شركة "ويسترن إليكتريك" عن برنامج تدريبي للمشرفين، كشف عن نقص المعلومات حول الروح المعنوية، كما انبثق أيضا عن اكتشاف وجود علاقة بين الإشراف والروح المعنوية في حجرة الاختبار، وكان برنامج المقابلات يتألف من مرحلتين: الأولى: دراسة استطلاعية أجريت في أحد فروع الشركة من سبتمبر 1928 إلى فبراير 1929، والثانية: برنامج متصل شمل حوالي 20 ألف كمقابلة مع العاملين في الشركة عامي 1929 و1930، وقد توقف البرنامج عام 1931 نظرا لحدوث انخفاض مماثل في النشاط الإنتاجي، مما أدى إلى تعثر التجارب الأخرى، بيد أن البرنامج عاد مرة ثانية عام 1936 ليصبح من الملامح الدائمة للإدارة العمالية في مصانع "هورثون" تحت مسمى "الإرشاد العمالي".

وفي بداية البرنامج أعد القائمون بالمقابلة قائمة بالموضوعات، التي اعتقدوا أنها ترتبط بالروح المعنوية مثل التدفئة، والتهوية، والتخزين، وحوادث العمل والمزايا الإضافية، وفرص الترقية، وقد واجه القائمون بالمقابلة صعوبات في إلزام المبحوثين بهذه الموضوعات، وجاءت النتائج أكثر إثارة عندما سارت المقابلة على طبيعتها دون الإلتزام بالموضوعات المحددة، وبعد عدة مناقشات اتبع الباحثون أسلوبا جديدا للمقابلة أطلقوا عليه الأسلوب غير المباشر، أو ما يطلق عليه الآن المقابلة غير الموجهة، فقد ترك للمبحوث أن يختار الموضوعات، ويقوم القائم بالمقابلة بمتابعة تفكير المبحوث دون أية محاولة لتغيير الموضوع أو التدخل في ا لمحادثة، وترتب على تغيير أسلوب المقابلة إطالة وقت المقابلة من 30 دقيقة إلى 90 دقيقة، كما زاد متوسط عدد صفحات تقرير المقابلة من حولي أربع صفحات إلى حوالي عشر صفحات، وقد تبين أن إتاحة الفرصة للحديث مع باحث غير مدقق ،خلال ساعات العمل وإتاحة الفرصة للكشف عن المشكلات الشخصية في سرية تامة مع غريب متعاطف له تأثير إيجابي،مستقل على الروح المعنوية للعمال.

وكانت هذه النتيجة على درجة كبيرة من الأهمية، وكان هذا هو هدف برنامج المقابلات عندما طبق مرة ثانية في مصانع هورثون، ومع ذلك كان للبرنامج الأصلي أهداف أخرى، ومن خلال المقابلات التي أجريت عام 1929 استخرج قسم التحليل بالمشروع حوالي 80 ألف تعليق، وكانت تلك أول عملية تحليل مضمون تمت على هذا النطاق الضخم.

وتتلخص النتيجة الأساسية لهذا التحليل الشامل، في أن مناخ العمل الذي يعمل فيه العمال الصناعيين – وربما غيرهم من العمال- ذا أهمية اجتماعية، وحتى يتسنى فهم شكاوى العمال وكذا مصادر رضاهم، ينبغي أن يؤخذ في الاعتبار أربع ظواهر مختلفة: التنظيم الاجتماعي الذي يتم في إطاره، والأحداث والأشياء والأشخاص الموجودون في بيئة العامل، ووضع العامل داخل التنظيم، والأنساق الاجتماعية الخارجية التي تحيط بعمله.

حجرة ملاحظة شبكة الأسلاك: اشتملت التجربة الأخيرة من تجارب "هورثون" على دراسة تفصيلية لموقف معملي من وجهة نظر علم الاجتماع، وكان الهدف من تصميم هذه التجربة الكشف عن أثار التفاعل الاجتماعي على سلوك العمال، ومع تقدم الدراسة بدأت في التركيز على عملية تقييد الإنتاج ،التي تمارسها جماعة الأقران المنظمة تنظيما غير رسمي.[1]

لقد أخذت مجموعة من العمال الذكور من القسم الذي يعملون فيه، ووضعوا تحت الملاحظة في حجرة مستقلة ليستمروا في أداء نفس العمل الذي كانوا يقومون به، وكان عملهم هو توصيل أسلاك خطوط لوحة مفاتيح التليفونات، وتكونت هذه المجموعة من 14 رجلا على النحو التالي: 9 عمال أسلاك، 3 لحامين، و2 من المفتشين، بالإضافة إلى ملاحظ تم ضبط سلوكه ضبطا دقيقا ،حتى لا ينزلق إلى دور شبه إشرافي، وقد استمرت هذه التجربة الأخيرة من نوفمبر 1931 إلى مايو 1932 حيث انتهت بانتهاء المشروع.

ولقد ظلت أجور العمال وساعات عملهم على حالها، إذ أن نظام حوافز الأجر يضع معيارا قدره 7200 توصيلة، غير أن العامل يقف عن 6600 توصيلة في اليوم، ويذكر معظم العمال إن إنتاجهم اليومي يقترب من هذا الرقم، مع أن ذلك يتطلب جهدا متواصلا وانشغالا بهذه الأرقام، وباستثناء فرد أو فردين لم يندمجوا كلية مع الجماعة، استطاع بقية العمال أن يصلوا إلى هذا الإنتاج تقريبا، وهذا يعني أن بعض العمال ينتجون أقل مما يستطيعون إنتاجه بالفعل، وبعضهم ينتج أكثر من ذلك، وتنتج المجموعة ككل أقل مما تقدر عليه.

1- الجوهري محمد،**نفس المرجع**،ص 134

ويلاحظ أن التنظيم الاجتماعي الداخلي لحجرة الأسلاك، كان أكثر إحكاما أثناء فترة التجربة القصيرة من التنظيم الاجتماعي، الملحوظ لمجموعات أصغر من الفتيات في التجارب السابقة، ولم يقتصر الأمر على أن المجموعة استطاعت تطوير معاييرها الخاصة بها، وتتحد على استقرار الإنتاج عند المستوى المرغوب فيه، وتحافظ على التضامن ضد المشرفين، بل إن هذه المجموعة انقسمت إلى مجموعتين تتفوق إحداهما على الأخرى، ولكل منهما نمط من التفاعل الداخلي الخاص بها.

وقد قام **"جورج هومانز"** بتحليل بارع لهذا المجتمع الصغير بعد ذلك بعدة سنوات، لتوضيح كيفية حفاظ الأنساق الاجتماعية بصفة عامة على نفسها ضد الضغوط الخارجية، وتحقيق توازن داخلي بين العواطف والنشاط بما يكفل الامتثال لمعايير الجماعة، وتناسب الثواب الاجتماعي مع الرتبة الاجتماعية، وإنجاز الأهداف المشتركة.

5- دراسات يانكي سيتي: ويد وارنر

كانت دراسة "يانكي سيتي" نتاجا مباشرا لتجرب "هوثورن"، التي كان **"لويد وارنر"** قد شارك فيها لفترة قصيرة، و"وارنر" باحث أنثروبولوجي حوّل اهتمامه من المجتمعات البدائية إلى المجتمعات الحديثة، كان قد خطط الباحثون في "ويسترن إليكتريك" لدراسة علاقة مصانع "هوثورن" بالمجتمع المحلي المحيط بها، ولقد أبان البحث الدقيق وجود بعض المعوقات أمام دراسة مدينة كبيرة كمدينة شيكاغو، وبدأ البحث عن مجتمع محلي صناعي صغير، يمكن فيه دراسة مشكلات عمال المصنع في إطار السياق الإجتماعي الكلي الذي يعيشون فيه، وقد رغب **"وارنر"** أن يدرس مجتمعا محليا أقل من الأحياء الصناعية بمدينة شيكاغو، أي مجتمع تتميز فيه الأنماط الاجتماعية بالاستقرار النسبي ومقاومه التغير، وهدا ما جعل اختياره ينحصر في "نيوانجلند"، وقد وقع الاختيار في النهاية على "نيو بري بورت New Bury port" في "ماساشوسيتش"، وهي مدينة ساحلية صغيرة لها تاريخ طويل ومتواصل، وكانت تضم حوالي 17 ألف نسمة وقت إجراء الدراسة.

وقد بدأ العمل الميداني عام 1931 واكتمل عام 1935، وخرجت نتائج المشروع في خمسة مجلدات ضخمة ظهرت في الفترة بين 1941 و1959 وفقا لخطة البحث الأصلية، وتغطي هده المجلدات النمط العام للحياة الاجتماعية في "يانكى سيتي"، وتحليلا دقيقا لنسق

المكانة، وأوضاع ثماني جماعات عرقية في المجتمع المحلي (الأيرلنديون، والكنديون الفرنسيون، واليهود، والإيطاليون، والأرمن، واليونانيون، والبولنديون والروس)، والتطور المفاجئ الهام لصناعة الأحذية المحلية، والرموز السياسية والتاريخية والدينية في "يانكي سيتي"، وقد ساعد **"وارنر"** في إعداد هده المجلدات مجموعة من المشاركين والمساعدين الأكفاء، وواصل كثير منهم إجراء بحوث هامة خاصة بهم فيما بعد.

ويتشابه مشروع "يانكي سيتي" مع المشروع الأول في "ميدل تاون" من نواح عديدة، إذ نجد للمرة الثانية مجموعة متحمسة من الشباب الباحثين تنتقل إلى المجتمع المحلي، وتحيط سكانه علما بأهدافهم العامة، وتسعى إلى جمع معلومة غزيرة باستخدام طرق عديدة: الملاحظات بالمشاركة،ورسم الخرائط، والعد الإحصائي، والمقابلات، والاستبيانات، وتاريخ الحالة، والوثائق العامة، والصحف، واليوميات، والمذكرات وكما هو الحال في "ميدل تاون" كان الاكتشاف المبكر الهام، هو وجود نسق واضح من الطبقات الإجتماعية ،يؤثر في حيات السكان من جميع الجوانب، وكما هو الحال أيضا في "ميدل تاون" اتضح أن وجود الباحثين كان له ضخم على الوعي الاجتماعي للسكان موضوع للدراسة.

بيد أن الاختلافات بين الدراستين تعادل في أهميتها أوجه التشابه بينهما، فقد كان التركيز في "ميدل تاون" منصبا على التغيرات الاجتماعية التي حدثت بين 1890 و1925، أما في "يانكي سيتي" فقد تمت دراسة التغير بصفة منتظمة عبر فترة زمنية أطول، ويمكن أن تعد "ميدل تاون" عينة من المجتمع الأمريكي أو على الأقل عينة من وسط غرب أمريكا، أما "يانكي سيتي" فإنها تمثل شريحة أقل نمطية من الحياة الأمريكية، وقد ساد مشروع "يانكي سيتي" اهتمام بأماكن معينة وأشخاص بعينهم، وتتمثل أهم الاختلافات المنهجية بين المشروعين في معالجة الجماعات في "ميدل تاون" على أنها تجمعات، في حين تم ترتيب البيانات التي جمعت في "يانكي سيتي" حسب أسماء الأفراد، ويتكون الجزء الرئيسي من التحليل، من تعقب روابط الأفراد وعلاقتهم باستخدام نظام الملفات (ملف لكل فرد) الذي يجمع المعلومات بشكل فردي عن كل ساكن تقريبا من سكان المدينة.

ويتألف النظام الطبقي من ست طبقات، أو من ثلاث طبقات رئيسية ،كل منهما ينقسم بدوره إلى قسمين،كما توجد أسماء لهذه الطبقة تستند إلى أحياء المدينة (مثل سكان شارع هيل، وسكان شارع سايد، وسكان ريفر بروكر)، وتدل هذه التسميات كتعبيرات مهذبة عن التصنيفات الطبقية، والطبقات الست- بلغة وارنر- هي: -العليا-العليا، والعليا- الدنيا، والوسطى- العليا، والوسطى الدنيا، والدنيا العليا، والدنيا- الدنيا. وتتألف الطبقة العليا- العليا من العائلات العريقة التي حافظ أسلافها على وضع قيادي في المدينة على مدى ثلاثة أجيال على الأقل، ويلي ذلك العائلات الجديدة (العليا- العليا) التي يتشابه أسلوب معيشتها مع أسلوب معيشة العائلات العريقة، ولكنه أسلوب مكتسب حديثا، وتتكون الطبقة الوسطى- العليا من رجال الأعمال وأصحاب المهن الفنية المتخصصة ،الذين يتمتعون بقدر من الاستقلالية،كما تتألف الطبقة الوسطى- الدنيا من صغار التجار والعمال أصحاب الياقات البيضاء.

ويشكل عمال المصانع السواد الأعظم من الطبقة الدنيا- العليا، أما الطبقة الدنيا- الدنيا فتتكون من ساكني ريفر بروكر الذين يعملون بصفة غير منتظمة، ويحصلون على قوت غير مضمون من العمل العرضي، وأعمال الحفر، وصيد البحر، والمهن غير النظامية.

وقد أسهم مشروع -يانكي سيتي- على غرار دراسات –ميدل تاون- في انتشار وجهة نظر الأمركيين عن مجتمعهم، واتضح أن التنوع المحلي هو أساس تجانس النظم في المجتمع الأمريكي، مع ذلك فإن هذا التصور كان له ثمنه مادام أن النسق الطبقي الذي نما في "نيو بري بورت" كان بطبيعته سريا، وغير معترف به، وانحرافا غير شرعي عن المثل الأمريكية السائدة مثل الديمقراطية والمساواة بين الأشخاص، وقد أمكن للباحثين من خلال إظهار معالم هذا النسق أن يغيروا من طبيعته إلى حد ما،وأن يبرهنوا على صحة حجج من ادعوا مكانة عليا، وأن يجعلوا من الصعب على الجماعات الوسطى والدنيا ادعاء المساواة النظرية، وهو الادعاء الذي كان موجودا من قبل، ومع الستينات تم التسليم على نطاق واسع بوجود نسق طبقي في الولايات المتحدة، كما أن النسق الطبقي المؤلف من ست طبقات الذي وجده "وارنر" في "نيو بري بورت" موجود في مجتمعات أخرى دون حاجة للبحث عن ذلك.

6- مجتمع في الشارع (مجتمع النواصي): وليام فوت وايت

اكتشف "**وليام فوت وايت**"- وهو خريج جامعة هارفارد- مجتمعا غريبا ، وذلك عندما قام بدراسة منطقة إيطالية حضرية متخلفة (كورنفيل) في بوسطن في الفترة بين 1937و1940، وتوجد علاقة بين دراسة "**وايت**" ومشروع "يانكي سيتي"، فقد تعلم "**وايت**" أساليب العمل الميداني من "**كونراد أرينسبرج**" و"إيلوت شابل" اللذين اكتسبا هذه المعرفة في "يانكي سيتي"، كما استفاد من نصائح "**وارنر**" في إعداده تقريره.

ويتمثل الاختلاف البارز بين هاتين الدراستين في أن "**وايت**" قام بهذه الدراسة بمفرده (باستثناء مساعدة محدودة له ومن زوجته)، واعتمد اعتمادا كبيرا على منهج الملاحظة بالمشاركة، وكان سكان "كورنفيل" وقت إجراء دراسة أكبر حجما إلى حد ما من سكان "يانكي سيتي"، حيث بلغ عدد سكانها حوالي 20 ألف نسمة، ولم يزعم "**وايت**" أنه يدرس النظم الاجتماعية لهذه المدينة دراسة كاملة، والحقيقة أنه أشار إشارات طفيفة إلى الأسرة، والكنيسة، والمدارس، والقطاع الرسمي من الاقتصاد المحلي، وكان موضوع بحثه هو العلاقة التبادلية بين الجمعيات التطوعية للشباب في "كورنفيل" والمقامرة المنظمة والسياسة، ويصف "**وايت**" في القسم الأول من كتابه تطور جمعيتين شارك فيهما، وهما -عصابة النواصي- التي يطلق عليها "نورتونز Nortons "،وجمعية صغيرة يطلق عليها "النادي الإيطالي المحلي Italien commentry club" وأعضاء النورتونز من صبية النواصي الذين لا تتعدى طموحاتهم وفرصهم المجتمع المحلي، أما أعضاء النادي الإيطالي المحلي فهم جامعيون يتطلعون إلى وضع في المجتمع الأكبر.

وكتاب "مجتمع النواصي" له طابع درامي ملحوظ، ولا يوجد في تراث علم الاجتماع يتصف بهذه البراعة الفائقة في الوصف والدراما وإثارة العاطفة والشعور. وقليلة تماما الأعمال الأخرى التي يمكن أن تضاهيه في هذه البراعة وهذا التأثير. ويعود هذا الطابع إلى مشاركة المؤلف الوجدانية للناس الذين قام بدراستهم، وفي موضع من الكتاب يشير" **وايت**" إلى أنه تحول تقريبا من ملاحظ غير مشارك إلى مشارك غير ملاحظ، وكان يشعر أنه أقرب إلى "النورتونز" منه إلى النادي الإيطالي المحلي، وكان "دوك Doc" قائد النورتونز أول إخباري له، وأصبح صديقه الحميم ومعاونه، وقصة "النورتونز" هي إلى حد كبير قصة "دوك" في أيام مجده الأولى، ثم ضياع هيبته كقائد حالة البطالة الدائمة التي عانى منها بينه وبين الوفاء بالتزامات القيادة، ودفعته في النهاية إلى قطع صلته مع زمرته، أما القصة المختلفة للنادي الإيطالي المحلي فهي إلى حد كبير قصة قائده "شيك موريللي chic morelli"، وهو انتهازي بلا مبادئ على دراية جيدة بالبناء الاجتماعي لكورنفيل، وهي قصة التناحر في صورة مصغرة بين أسود "**باريتو**" وثعالبه، وكانت عواطف "**وايت**" كلها مع الأسود قليلة الحظ.

القسم الثاني من التقرير عبارة عن دراسة للبناء الاجتماعي لابتزاز الأموال في "كورنفيل"، وكان المبتزون يسيطرون على لعبة الأرقام ويتحكمون فيها، ويحرصون على مهادنة الشرطة، وتوطيد علاقاتهم مع البناء السياسي الذي يشبع الولاء العرقي والاحتياجات المحلية، ومن مميزات دراسة "**وايت**" أنها تكشف عن هذا النسق من أسفل إلى أعلى، وهناك فصل طويل يحدثنا عن كيفية خضوع نادي اجتماعي ورياضي صغير لأحد المبتزين، وكيفية قيام هذا النادي بدور محدود – ولكنه دور هام- في انتخابات المدينة، إن وضوح أسلوب "**وايت**"، ووصفه الدقيق للأحداث، واستخدامه المستمر للاقتباس المباشر يعطي القارئ إحساسا بالمشاركة الشخصية.

وهناك ملمح درامي آخر في كتاب "مجتمع النواصي"، ففي الوقت الذي قام فيه "**وايت**" بدراسة منطقة حضرية متخلفة مع نهاية الكساد العظيم، وكان مهتما اهتماما ظاهريا بالجانب الأسوأ من حياتها (البطالة والإسكان المتخلف، والرشاوي والمرتبات الثابتة التي تدفع لرجال الشرطة، والفساد السياسي، والخدع الانتخابية، والفرص المحدودة)، فإن تعاطفه قاده إلى وصف "كورنفيل" بأنها مكان يخلو من العنف والحقد أو المعاناة الحقيقية، وقد أنجز مهمته في دخول المجتمع بنجاح لدرجة أوقعته في حب مبحوثيه ووقعوا هم في حبه، فقد كون لنفسه موطنا ثانيا في أسرة صاحب مطعم محلي، وتعلم الإيطالية، وحاز مكانة مرتفعة بين "النورتونز"، وكون صداقات مع المبتزين، وشارك في الحملات الانتخابية، بل وأحضر عروسته الجديدة لتعيش معه في "كورنفيل"، وفي بعض الأحيان كان "**وايت**" ينسى حياده وينحاز إلى جانب القضايا المحلية وبين الحين والآخر كان يتمثل لمعايير أصدقائه بدرجة تفوق ما كانوا يتوقعونه منه، مثل مشاركته في التصويت عدة مرات في يوم الانتخابات، بل

إنه فضل المعلومات غير الوثائقية وغير الإحصائية والبيانات الأولية المأخوذة مباشرة من الميدان بدرجة أكبر من المطلوب حتى يؤكد على أهمية التزامه بالتفاعل الشخصي المباشر.

ومن السلوكيات النمطية التي اكتشفها "**وايت**" في "كورنفيل" أن صبية النواصي يعتنقون "القيم المحلية"، أما الطلبة الجامعيون فإنهم يعتنقون "القيم غير المحلية"، بمعنى أن صبية النواصي يحافظون على الفضائل الأصلية لمجتمعهم المحيط بهم، في حين أن طلبة الجامعة الذين تأثروا بالأخصائيين الاجتماعيين وغيرهم من مؤسسات المجتمع الأكبر تناسوا التزاماتهم حيال بعضهم بعضا في سباقهم من أجل الحراك الصاعد.

ويميز "**وايت**" في كل تدرج طبقي في "كورنفيل" نسقا من ثلاثة مستويات يتألف من صغار القوم، وكبارهم، ووسطائهم، وصبية النواصي هم صغار القوم، أما المبتزون والساسة فهم علية القوم، أما قادة عصابات النواصي فهم الوسطاء الذين يصلون بينهما. ويمتد هذا النمط إلى التدرج الهرمي فوق الطبيعي حيث أن العباد –شأنهم في ذلك شأن صغار القوم- يتخذون من القديسين وسطاء ليتشفعوا لهم عند "علية القوم".

بيد أن التدرج الطبقي في "كورنفيل" يضم أكثر من هذه الفئات المتدرجة العامة، إذ إن كل رابطة من الرابطتين اللتين قام "**وايت**" بملاحظاتهما لها نظامها الطبقي الدقيق الخاص بها بغض النظر عما يبدو للولهة الأولى من تمييز الرابطة بالبساطة واللارسمية، واستطاع "**وايت**" أن يبين بوضوح اعتماد المكانة على مجموعة من الالتزامات داخل الجماعة، لدرجة أن مكانة الفرد تقيس مقدرته النسبية على الامتثال لقيم الجماعة.

ويكون القائد في كل الأحوال هو النقطة المحورية لبناء الجماعة، وممثلها أمام العالم الخارجي، والقائد بدور الحكم في الداخل، هو الذي يبادر بأنشطتها الجمعية. وتكون العلاقات الهامة تلقائية مع نائبيه، وليست مع تابعيه وأعوانه، وتحدث التغيرات في القيادة عن طريقة حدوث تحول في العلاقات بين من يتربعون على قمة البناء، وليس بصعود من يقبعون في القاع، وتمثل هذه التغيرات مصدرتا لقلق المشتركين فيها أو المعنيين بها، وقد يصاب القائد المخلوع وبعض من أتباعه بالمرض عندما يختل توازن الجماعة.

وربما يكون تأثير نتائج لعبة "Bowling" من أكثر الأشياء التي تعلق بالذهن من دراسة "**وايت**"، إذ يعد (البولنج) أحد الأنشطة الأساسية في زمرة "دوك"، وهم يعلقون أهمية كبيرة على المهارة في ممارسة هذه اللعبة، وقد افترض "**وايت**" في البداية أن مهارة الفرد في لعب "البولنج" تضيف إلى مكانته في الجماعة، ولكنه انتهى بعد ملاحة طويلة إلى أن العكس هو الصحيح، إذ إن مكانة عضو الجماعة هي التي تحدد مهارته في "البولنج"، على الأقل في تلك المناسبات التي تجتمع فيها الجماعة كلها لمشاهدة مباراة هامة. وينخفض مستوى أداء ذوي المرتبة المنخفضة بفعل الضغوط الجافة والحادة من الجماعة، في حين يلقى مؤازرة بأساليب مشابهة.

إن المزج بين العناصر الموضوعية والذاتية في كتاب "مجتمع النواصي" يجعل الواحد منا يتساءل عما يمكن أن يتوصل إليه في نفس الموقف باحث آخر لديه مزاج مختلف،

وتحتاج دراسة مجتمع النواصي إلى تكرارها أكثر من أي دراسة أخرى في تراث علم الإجتماع، ويصعب تفسير وفهم الأسباب التي دفعت إلى عدم تكرار مثل هذه الدراسة، باستثناء دراسة مشابهة عن "مجتمع نواصي الزنوج" التي قام بها **"أليوت ليبو"**، والتي اهتمت بدراسة المشكلات المهنية والأسرية، وعرضت لخبرة مختلفة تمام الاختلاف.

7- الأزمة الأمريكية جونار ميردال (Gunnar Myrdal) :

هو اقتصادي سويدي من مواليد جوستاف لابراشيه ،ولد في السويد في 6 ديسمبر 1898، وتوفي في سنة 1987،تخرج من كلية الحقوق من جامعة ستوكهولم عام 1923،وبدأ ممارسة القانون مع مواصلة دراسته في الجامعة حصل على درجة الدكتوراه في الاقتصاد في عام1927، حيث عمل في الاقتصاد السياسي من 1925 إلى 1929، ودرس فترات في ألمانيا وبريطانيا، حصل عام 1974 على جائزة نوبل للاقتصاد مشاركة مع فريدريش فون هايك .

جاءت دراسة "ميردال" عن وضع الزنوج الأمركيين بمبادرة من مؤسسة كارنيجي عام 1937، وأجريت الدراسة الميدانية بسرعة ملحوظة في الفترة من عام 1938،1937 حتى عام 1940.

وقد صممت هذه الدراسة لتكون دراسة شاملة عن الزنوج في أمريكا، وكانت كذلك بالفعل، واختير "ميردال" – وهو عالم سويدي متخصص في الاقتصاد الاجتماعي وله سمعته الدولية- ليدير مشروع البحث، لأنه جاء من بلد لا تضم نسبة كبيرة من السكان الملونين وليس لها تاريخ في التدخل الاستعماري، وقد اصطحب معه من السويد "ريتشارد ستيرنر"، وبدء العمل بالتجول طويلا وبشكل مكثف في أرجاء الجنوب، ومع أن "ميردال" عاد إلى السويد في أوائل عام1940، فقد عاد مرة ثانية إلى أمريكا عام1941 لإعداد التقرير النهائي، وكان مسؤولا بدرجة كبيرة عن أفكاره الأساسية.

ويعد هذا المشروع أكبر مشروع مشترك يقوم به العلماء الأمركيون حتى ذلك التاريخ، فقد اشترك حوالي 150 منهم في هذه الدراسة كمستشارين، وخبراء، وباحثين، ومؤلفين، وتضم قائمة المشاركين نسبة كبيرة من علماء الاجتماع البارزين الذين كانوا على قيد الحياة في ذلك الوقت، وقد ظهرت ثلاثة مجلدات عن الجوانب الاجتماعية لوضع الزنوج قبل اكتمال التقدير الرئيسي، كما ظهرت كتب عديدة اعتمدت على بيانات هذه الدراسة، وبقيت مخطوطات عديدة أعدت لهذا المشروع دون أن يتم نشرها.

والموضوع الرئيسي لكتاب "الأزمة الأمريكية" ويبدو في غاية البساطة، كما يتضح من المقدمة التي كتبها "ميردال" لتقرير البحث:

"إن مشكلة الزنوج الأمريكيين هي مشكلة متأصلة في قلوب الشعب الأمريكي، وهنا يمكن أساس التوتر بين الإثنيات، ويستمر الصراع الضاري.

وهذا هو جوهر هذا البحث. ومع أن دراستنا تغطي العلاقات الاقتصادية والاجتماعية والسياسية بين الجماعات الإثنية، فإن مكمن المشكلة هو الأزمة الأخلاقية للشعب الأمريكي،

أي الصراع بين تقييمه الأخلاقي على مختلف مستويات الوعي والتعميم، وتعني "الأزمة الأمريكية" المشار إليها في عنوان الكتاب الصراع العنيف بين الأحكام القيمية على مستوى العام والتي سوف نطلق عليها "العقيدة الأمريكية"، حيث يفكر الأمريكيون ويتناقشون ويتصرفون تحت تأثير قوى لتعاليم أخلاقية ذات طبيعة قومية ومسيحية من ناحية، ومن بين الأحكام القيمية على مستويات خاصة للحياة الفردية والجماعية حيث تسيطر على المواطن الأمريكي وجهة نظره في المصالح الشخصية والمحلية، والحقد الاقتصادي والاجتماعي والعرق، واعتبارات الهيبة والأمثال في المجتمع المحلي، والتعصب الجماعي ضد أشخاص بعينهم أو نماذج معينة من الناس، وجميع صنوف الرغبات والدوافع والعادات المختلفة من ناحية أخرى"[1].

وتعني هذه العبارات أن أسباب مشكلة الزنوج الأمريكيين ينبغي البحث عنها في معتقدات وتصرفات الأغلبية البيضاء لا في معتقدات الأقلية السوداء.

وفي رأى "ميردال" أن القاسم المشترك في المشكلة العرقية الأمريكية هو رفض الأمريكيين البيض بالإجماع تقريبا للاندماج مع السكان السود، واعتمادهم على إجراءات الفصل العنصري من أجل الحيلولة دون قيام علاقات وثيقة معهم قد تؤدي إلى التزاوج. وقد أشار "ميردال" إلى ما أسماه بالنظام التراتبي للتمييز العنصري عند الرجل الأبيض أي الأهمية النسبية الملتصقة بكل نمط من أنماط التمييز العنصري من جانب الأبيض، وهو النظام التراتبي الذي يضاد النظام التراتبي للتمييز العنصري عند السود أي الأهمية النسبية الملتصقة بالتخلص من جميع صور العنصري. ويبدأ النظام التراتبي للتمييز العنصري عند الرجل الأبيض بتحريم التزاوج والاتصال الجنسي بين

(1) انظر جونار ميردال، الأزمة الأمريكية، مرجع سابق، صفحة XIVII.

الرجل الزنجي والمرأة البيضاء، يلي ذلك وضع حواجز أمام قيام علاقات اجتماعية وثيقة، والفصل في الأماكن العامة، والحرمان من حق التصويت السياسي، والمعاملة المتحيزة من جانب المؤسسات العامة، وأخيرا التمييز الاقتصادي على هذا الترتيب، ويبدأ النظام التراتبي للتمييز العنصري عند الزنوج بالتخلص من التمييز الاقتصادي.

وقد أصيب "ميردال" بصدمة عند مقارنة وضع الزنوج بوضع قطاعات سكانية أخرى محرومة من المشاركة الكلية في الاقتصاد مثل النساء وفقراء البيض، وأشار إلى أن القطاعات الفقيرة من قوة العمل الأمريكية لا تتحد ضد الطبقة المسيطرة بالمعنى الماركسي ولكنها تظهر عداءها نحوها وتخضع لها.

التصاعد أو التراكم: ويعد مبدأ التصاعد أو التراكم، بمثابة الآلية التي تبقى على الزنوج في فقرهم. يقول "ميردال": "إن تعصب البيض وتحيزهم يحافظ على إبقاء الزنوج في وضع متدن من حيث مستويات المعيشية، والصحة، والتعليم، والآداب الإجتماعية، والعادات الأخلاقية، وهذا الوضع المتدني الذي يوجد فيه الزنوج يدعم بدوره تعصب البيض

ضدهم، وهكذا نرى أن تعصب البيض ومستويات الزنوج المتدنية يفضي كل منها إلى الآخر"[1].

وقد سلم ميردال بأن جميع عوامل الحرمان متداخلة ومتشابكة، غير أنه أكد على الصور الاقتصادية للحرمان التي يتعرض لها الزنوج ولا يزالوا معرضين لها بحكم اهتمامه الأساسي بعلم الاقتصاد، وقد وصف الوضع الاقتصادي للزنوج الأمريكيين بأنه وضع مرضي حيث لاحظ أنهم يمتلكون ممتلكات محدودة، وأن المعدلات المنزلية التي لديهم غير كافية، ومدخلهم منخفض وغير منتظم، ويتركز المزارعون الزنوج في أقل القطاعات إنتاجا، كما يتركز العمال الزنوج غير الزراعيين في أدنى المهن الخدمية والصناعية وأقلها أجرا، وترتفع البطالة بين الزنوج بنسبة أعلى بكثير من معدلها العام في المجتمع، كما أن ظهور النزعة النقابية في الثلاثينيات أصابتهم بالضرر بدلا من أن تؤدي إلى تحسن وضعهم نسبيا.

(1) انظر جونار ميردال، الأزمة الأمريكية، مرجع سابق، صفحة XIVII.

8-اختيار الشعب: بول لازار سفيلد وآخرون

ولد عالم الاجتماع النمساوي الأصل فيلكس لازار سفيلد في فيينا في 13 فبراير 1901، في أسرة نشطت في مجال الفن والثقافة والسياسة، فوالده اختصت في التحليل النفسي، وتدريب على(SOFIC) كان محاميا مشهورا بدفاعه عن النشطاء السياسيين الشباب مجانا، ووالدته صوفي(Robert) روبرت ولها كتاب عن تحرير النساء، وهو ما شجعه ليكون عضوا ناشطا وقياديا في المنظمات الطلابية الاشتراكية، بلغ حد (Alfred Adlér) يد فالفريد أدلر تأسيس جريدة شهرية للطلبة الاشتراكيين، وقد أسهم في إنشاء ما يسمى بـ "الكباريه السياسي" الذي لعب دورا مهما في تطوير تاريخ فيينا السياسي والمسرحي.

نال لازار سفيلد شهادة الدكتوراه في علم الرياضيات التطبيقية من جامعة فيينا 1925، وتعرف أثناء دراسته على عالمي النفس كارل وشارلوت، بوهلر اللذين درساه، وتأثر بهما وعمل في معهد بوهلر النفسي، تحديدا لشارلوت بولهر في أبحاثها عن الطفولة المبكرة ونمو الشباب، مما أتاح له فيما بعد تأسيس قسم خاص في المعهد النفسي، يعني بتطبيق علم النفس على المشكلات الاجتماعية والاقتصادية، انتقل لازار سلفد سنة 1933 إلى أمريكا، بعد أن تحصل على منحة من مؤسسة روكفل، التي أكبرت دراسته حول قرية مارينيثال، وثمنت ما جاء فيها من نتائج استندت إلى منهج تكاملي، يجمع بين الملاحظات الكمية والكيفية، وهي دراسة كان لها أثر كبير في عدة أجيال لاحقة من علم الاجتماع، ومع

أن النازيون عملوا على منع ظهورها ونشرها مند سنة 1978 "جزاءا من مقررات علم الاجتماع في الجامعات النمساوي" [1].

واستقر لازار سلفد بالولايات المتحد الأمريكية، وانصرف إلى إنجاز عدد من المشاريع البحثية، ووجد دعما كبيرا من "روبرت ليند"، فتمكن من إنشاء مركز حول البطالة، وتولى الإشراف على دراسة أقرتها مؤسسة التأثيرات الاجتماعية للراديو، وفي سنة 1939 تم تعيين لازار سلفد محاضرا بجامعة كولومبيا، ثم استاذا مساعدا في علم الاجتماع، حثي ظل إلى حين إدراكه ين التقاعد سنة 1969، وفي سنة 1944 تحولت تسمية مكتب بحوث الراديو إلى مكتب البحوث الاجتماعية التطبيقية،وفي سنة 1962 أصبح لازار سلفد أستاذ "كريس كتليه للعلوم الاجتماعية"، وقد أنشئ هذا الكرسي خصيصا له فقد كان يؤمن بأن الإحصائي البلجيكي أدولف هو المؤسس الحقيق لعلم الاجتماع الإمبريقي، ولم يتوقف لازار سلفد عن التدريس حتى إثر تقاعده، فقد كان يقدم دروسا في (Adolphe Quetlet) كتليه جامعة بتسبرغ، باعتباره أستاذا متميزا منذ سنة 1969 حتى وفاته.

1- محمد الجوهري،مرجع سابق،ص339.

من مؤلفاته نذكر: مقالة مشتركة مع روبرت ميرتون حول "وسائل الاتصال والذوق العام والفعل الاجتماعي المنظم " (1948)، وكتابه مشترك مع كندال حول "مشكلات تحليل المسموح"، دراسة عن الانتخابات الرئاسية بعنوان خيارات الناس" (1940)، وكتاب "مذكرات تاريخية عن الدراسات (Kendall)، (الأمبريقية للفعل: "الأوديسا العقلانية" 1958). [1]

في انتخابات الرئاسة الأمريكية عام 1940 كان الناخبين في مقاطعة "ايرى "Erie" بولاية "أوهايو" أن يقرروا ما إذا سيدلون بأصواتهم لصالح الرئيس "فرانكيلين رزفلت" لفترة رئاسة ثالثة، أم لصالح نظيره الجمهوري "وندل ويكي"، أو سيعزفون عن في الانتخابات كلية، وقد قام "لازار سفيلد" _ وهو مؤسس مكتب البحوث الاجتماعية التطبيقية في جامعة كولومبيا_ بإجراء بحث للكشف عن كيفية اتخاذ هذا القرار، وتقل عدد صفحات تقدير نتائج البحث عن مائتي صفحة، غير أن هذا البحث كانت له آثار بعيدة المدى على النظرية والممارسة السياسية في الولايات المتحدة، وضرب هذا البحث مثالا يحتدى به في المسوح السياسية التي وفرت تراثا غزيرا منذ ذلك الوقت حول العوامل التي تحدد نتائج الانتخابات في البلاد الديمقراطية.

وقد جاء مشروع بحث مقاطعة "ايرى" نتيجة للاستخدام المكثف لاستطلاعات الرأي العام لقدير اتجاهات الناخبين في الحملات الانتخابية في الثلاثينيات، كما جاء نتيجة لبحوث جمهور المستعملين والقراء التي قامت بها الشبكات الإذاعية والمجلات القومية في نفس الوقت لمضاعفة تأثير حملاتها الدعائية، وقد تم تدبير الجانب الأكبر من تمويل هذا البحث من جانب إحدى المجالات القومية وإحدى مؤسسات بحوث الرأي العام.

وقد جمعت البيانات بواسطة باحثين قاموا بزيارة عينة إحصائية ممثلة للسكان، وحصلوا على إجاباتهم على استبيان مقنن، وكانت هذه الدراسة _مع ذلك_ أكثر دقة وإحكاما مما هو مألوف في مسوح الرأي العام، وقام الباحثون بزيارة المنزل الرابع في كل شارع من شوارع المقاطعة لتحديد إطار معاينة مكون من 4000 ناخب تقريبا على أن يكونوا ممثلين لجملة السكان من حيث: العمر والنوع والإقامة والتعليم وامتلاك الهاتف والسيارة، والمواطن الأصلي، تم اختيار أربع عينات من هذا الإطار، وتتكون كل عينة من 600 مفردة تتشابه في الخصائص السابقة، ووقع الاختيار على إحدى هذه العينات لتكون العينة الأساسية وتمت مقابلة مفردتها مرة كل شهر من مايو إلى نوفمبر من ذلك العام، وجرت المقابلة الأولى قبل انعقاد مؤتمرات الترشيح التي تعقدها الولايات، وتمت المقابلة الأخيرة بعد إجراء الانتخابية، أما مفردات العينات الثلاث الأخرى فقد تمت مقابلتهم على فترات مختلفة، وتمثل هذه العينات الثلاث مجموعات ضابطة لاختيار تأثير تكرار المقابلة على العينة الأساسية.

1- مجموعة من الباحثين: **الموسوعة الدولية للعلوم الاجتماعية**،ترجمة: المركز القومي للترجمة،القاهرة، (الجزء 2 علماء الاجتماع)، ط1، (2010).

وقد ركزت الدراسة على اتجاه المبحوثين في عملية التصويت في انتخابات شهر نوفمبر والتغيرات التي طرأت على هذا الاتجاه من مقابلة إلى أخرى، وإذا حدث تغير ما في اتجاه التصويت لدى المبحوث يتم سؤاله عن أسباب ذلك تفصيلا وعن الملابسات المرتبطة به، وتم تسجيل اتجاهات المبحوثين عند تعرضهم لحملات الدعائية الانتخابية تسجيلا دقيقا، ولم يضم التقرير المطبوع نص الاستبيان، غير أننا نعلم أنه يتضمن معلومات وافية حول سمات المبحوث الشخصية (البيانات الأساسية)، وفلسفته الاجتماعية، وتاريخه السياسي، وسمات شخصيته، وعلاقاته مع الأصدقاء والأقارب، وعضويته في التنظيمات، وانتمائه الديني، وآرائه في القضايا الجارية.

وتتلخص النتيجة الرئيسية لهذه الدراسة في أن اختيار الأغلبية العظمى من الناخبين يمكن التنبؤ به من خلال ثلاث خصائص اجتماعية فقط هي: المكانة الاجتماعية، الاقتصادية، والانتماء الديني، والإقامة الريفية أو الحضرية، إذ يتبين أن المكانة المرتفعة، والنزعة البروتستانتية الريفية تجعل الناخبين يميلون إلى المرشح الجمهوري، في حين أن المكانة المنخفضة، والنزعة الكاثوليكية والإقامة الحضرية تجعل الناخبين يميلون إلى المرشح الديمقراطي، وقد أمكن للباحثين باستخدام هذه العوامل وحدها أن يصمموا مقياسا للتعرف على التوجه السياسي للفرد، ويفيد في التنبؤ بالسلوك الانتخابي بصفة عامة، وقد وصل الباحثون إلى هذه النتيجة على الرغم من أن قياس هذه الخصائص الثلاث كان قياسا تقريبا إلى حد كبير، فقد اعتمد تقدير المكانة الاجتماعية _ الاقتصادية مثلا على التقدير الذاتي للمبحوث لمسكنه وممتلكاته ومظهره وطريقة كلامه، ولم يتم قياس الانتماء الديني بالمواظبة على الكنيسة أو أي مقياس آخر من مقاييس المشاركة الدينية.

ويتأثر اختيار الناخب بتاريخه السياسي إلى حد ما بالإضافة إلى خصائصه الاجتماعية، فقد اتضح على سبيل المثال أن جميع الجمهوريين الذين أعطوا أصواتهم لصالح "لاندون" ضد "روزفلت" عام 1936 قد أعطوا أصواتهم "لويلكي" عام 1940 وهناك مثال آخر هو أن معظم الناخبين الجدد ساروا على نفس التفصيلات الحزبية لوالديهم عندما أدلوا بأصواتهم للمرة الأولى.

ويتمثل الأثر الصافي لهذه العوامل المتعددة في انخفاض عدد الناخبين الذين يمكن أن يتأثر قرارهم بالحملات الانتخابية إلى أقلية صغيرة جدا من الناخبين، وقد أصبح هؤلاء الناخبون _ غير المستقرين سلفا على موقف معين أو غير الملتزمين _ هدفا أساسيا لكل حملة سياسية منظمة.

وتلقى كل هذه النتائج بظلال من الشك على رشد العملية السياسية، وعلى أهمية الادعاءات التي يستند إليها المرشحون والأحزاب في محاولة التأثير على الناخبين، ويتعمق هذا الشك عندما نكشف أن التعرض للوسائل الدعائية يتحدد بنفس الطريقة التي يتم بها اتخاذ قرار التصويت، ويلاحظ أن أكثر الناخبين اهتماما ومعرفتهم الذين يتخذون قرارهم مبكرا، كما أنهم يكونون أكثر عرضة للوسائل الدعائية وأكثر احتجاجا عن التعرض للوسائل الدعائية للمرشحين الذين اختاروهم بالفعل، أما الناخبون الذين لم يقرروا بعد كيفية التصويت يعرضون أنفسهم بدرجة أكبر لدعاية الحزب الذي يميلون إليه متأثرين في ذلك بالعوامل الاجتماعية المألوفة.

وقد كان لازار سفيلد وزملاءه مقتنعين بأن الإقناع العقلي ليس له علاقة تذكر بالطريقة التي يتخذ بها الناخب قراره.

ويناقش الجزء الأخير من الكتاب اختيار الشعب، التجانس السياسي للجماعات الاجتماعية، ويوضح كيف أن الارتباطات التي اتضحت من قبل تقوم على احتمال قوي مفاده أن الناس الذين يعملون أو يعيشون معا يعطون أصواتهم لنفس المرشح، إما من خلال اختيار تلقائي أو بسبب ممارسة تأثير شخصي، المحصلة الطبيعية للمناظرات السياسية التي تحدث خلال الحملات الانتخابية بين الأصدقاء والجيران والأقارب هي تعزيز الرأي السائد داخل كل جماعة اجتماعية، وهذا التأثير يوافق تأثير المرشح المحتمل فوزه في جمهور الناخبين بصفة عامة، ويتوقع الناس أن يفوز المرشح الذي يفضلونه، ويكون العكس صحيحا أيضا بمعنى أنهم يفضلون أحد المرشحين في بعض الأحيان لأنهم يتوقعون فوزه.

ولا تتكرر السياسة الأمريكية على نفس المنوال مرة ثانية، وقد خلص كتاب "اختيار الشعب" إلى أن الطرف الذي يستطيع تعبئة الجماهير لتأييده بطريقة الخبراء ترفع فرص نجاحه، وإن الذين يمارسون السياسة بطريقة الخبراء ينبتون كالنبات الذي يترعرع في الأرض، وقد تغلغلت نتائج هذه الدراسة في العملية السياسية خلال الستينات لدرجة أن إعلانات التلفزيون عن النتائج الانتخابات، وتحليل اتجاهات التصويت حسب الدخل والدين

والعمر والسلالة والمهنة وعضوية النقابات وغيرها من العوامل (التي تحدد التوجه السياسي) أصبحت تعد أمورا طبيعية شأنها في ذلك شأن نتائج الانتخابات نفسها.

9-الجندي الأمريكي: صمويل ستوفر وآخرون

بعد الهجوم الياباني على "بيرل هاري" بفترة قصيرة تم تعيين عالم الاجتماع المشهور "صومويل ستوفر" مديرا مدنيا "لفرع البحوث Research Branch" المنشأ حديثا، والذي أصبح فيما بعد إدارة المعلومات والتعليم بالقوات المسلحة الأمريكية، ورأس هذه الإدارة الجنرال "فريدريك أوسبورن"، وهو رجل أعمال سابق وعالم اجتماع أيضا، وقد أنشئ فرع البحوث _كما يقول "ستوفر"_ للقيام بمهام هندسية اجتماعية وليست مهاما علمية، وكانت وظيفته هي إجراء مسوح الاتجاهات بين الجنود عندما تشعر الإدارات العليا بمشكلات تحتاج إلى معلومات شاملة ذات طبيعة مسحية، فقد طلبت تلك الإدارات على سبيل المثال تحليل العوامل التي جعلت الجنود في مسرح العمليات بجنوب المحيط الهادي ينفرون من استخدام عقار "الأتبرين" للوقاية من الملاريا، والكشف عن أي نوع من الأكواخ الذي يفضله الجنود في "ألاسكا"، ودراسة حالة مغاسل الملابس في "بنما"، واتجاهات الجنود نحو الصينيين في مسرح العمليات بالهند وبورما، ويعد كثير من هذه الموضوعات تافها، غير أن بعضا منها له أهمية واضح.

فقد قام فرع البحوث على سبيل المثال بتصميم "نظام النفط" الذي استخدم في تحديد الأولويات لتشغيل الجنود عند تسريح القوات المسلح مع نهاية الحرب، كما أن دراسات هذا الفرع وفرت المعلومات اللازمة للتشريع الخاص بمساعدة المحاربين القدماء خاصة ميثاق الحقوق والذي أدى بصفة دائمة إلى التوسع في النظام الأمريكي للتعليم العالي.

وبانتهاء الحرب العالمية الثانية قام فرع البحوث بمقابلة ما يزيد عن 500 ألف شخص بالاستعانة بأكثر من 200 استبيان مختلف، وقام بإعداد عدة مئات من التقارير عن نتائجه لأغراض عسكرية متعددة، ومع ذلك لم تستغل مطلقا القيمة العلمية لهذه البيانات الغزيرة، وقد عهد بهذه المهمة إلى لجنة خاصة بمجلس بحوث العلوم الاجتماعية برئاسة الجنرال "أوسبورون" ونفذت تحت إشراف البروفيسور "ستوفر" بمنحة من مؤسسة "كانيجي" في السنوات الخمس التي أعقبت الحرب، وهكذا تحول فرع البحوث في ظل نفس القيام إلى فريق بحث علمي برعاية مدنية، وقد نشرت النتائج في أربعة مجلدات تحت عنوان "دراسات في علم النفس الاجتماعي في الحرب العالمية"[1]، والتي اشتهرت باسم "الجندي الأمريكي" من عنوان المجلدين الأولين.

وكان هذا المشروع _ على غرار "مشروع ميردال" _ تعاونيا على أوسع نطاق، إذ وصلت قائمة الأشخاص العلميين والإداريين إلى 134 اسما، وتبرز صفحات العناوين في المجلدات الأربعة أسماء خمسة عشرة مؤلفا رئيسيا، ولم يضارع أي بحث اجتماعي بعد ذلك هذا البحث في مجاله.

[1] وهذه الدراسات هي:

Studies in Social Psychology in World War 11.4Vols.
_Vol. I .Samuel A. Stouffer et al.The American Soldier, Adjustment During Army Life, Princeton, N. J , Princeton University Press, 1949 ;
_ vol. II : Samuel A .Stouffer et al, The American Soldier : Combat and Its Aftermath, N. J ,Princeton university Press, 1949.
_ vol. III : Carl hovland, Arthur Lumsdaine and Fred Sheffield, Experiments on Mass Communication, Princeton, N, J , Princeton.

وعلى الرغم من اعتماد كتاب "الجندي الأمريكي" على علوم عديدة خاصة علم النفس وعلم النفس الاجتماعي، فإنه يعد سوسيولوجيا في منهجه (مسوح الاتجاهات) وفي طبيعة نتائجه كما أن معظم التفسيرات والتحليلات التي تلت نشر هذا الكتاب ركزت على المضامين السوسيولوجية للبيانات لا على أهميتها النفسية أو التاريخية أو الإدارية.

ويختص المجلد الأول من التقرير بالتكيف الشخصي للجنود خاصة جموع الجنود المدنيين الذين خدموا في الجيش بصفة مؤقتة أثناء الحرب العالمية الثانية.

ويهتم المجلد الثاني بالمشكلات المتعلقة بالحرب وما بعدها. ويبحث المجلد الثالث رد فعل جمهور المشاهدين العسكريين للأفلام التوجيهية وغيرها من المواد الدعائية. ويعد هذا المجلد عن موضوع بقية الكتاب إلى حد ما. ويتضمن المجلد الرابع معالجة دقيقة لنظرية قياس الاتجاهات وتطبيقها، ومناقشة لثلاثة مناهج دقيقة لتحليل بيانات المسح، وهي تحليل البناء الكامن، واستخدام استجابات المسح لأغراض تنبؤية.

وتتميز موضوعات المجلدات الأربعة بالغزارة والارتباط الوثيق ولذلك يذهب "إدوارد شليز" في مقالاته الشهيرة إلى أن الروح المعنوية للجندي المقاتل تعتمد بصفة أساسية على روابط جماعته الأولية في الجيش[1]، وأن هذه الروابط تقلل من اعتماد الروح المعنوية للجندي المقاتل على الصلاة التي تعد أكثر أهمية من رفقة السلاح.

وقد أكد عدد من المحللين على تأثير الحرمان النسبي، فقد لوحظ على سبيل المثال أن الزنوج في المعسكرات الشمالية كانوا أسوأ تكيفا بصفة عامة من الزنوج في المعسكرات الجنوبية، لأن أساس المقارنة عند الجندي في الجنوب والشمال على حد سواء كان وضع الشخص المدني، وأن الوضع السيئ للزنجي المدني في الجنوب كان بمثابة معامل للمعاملة السيئة للزنوج في المعسكرات الجنوبية، وقد أدى التأكيد إلى تحويل الاهتمام عن بعض النتائج الهامة حول الحرمان المطلق، ومنها أيضا الاكتشاف مفاده أن الوحدات العسكرية تبدأ في التفكك تتعرض للقتال أو لأية صورة أخرى من الصور المعاناة لفترات طويلة.

كما أدى تأكيد المحللين على تأثر الدور و المكانة في تعديل الاتجاهات (بمعنى أن الاختلافات في الدور والمكانة لا تؤدي فحسب إلى الاختلافات في الاتجاه، وإنما تؤدي أيضا إلى الخطأ في حكم جماعة على جماعة أخرى) أدى إلى إغفال نتيجة هامة هي أن الجيش وقت الحرب يعمه الاستياء من سوء استخدام امتيازات الرتبة، وأن هذا الشعور له آثار عكسية شديدة على الروح المعنوية باستثناء القوات الجوية التي تسودها ظروف مختلفة.

1_Edward Shils, « Primary Grioups American Army » pp.12_39, in : Continuties in Social Research : Studies in the Scop and Method of ‘’The AmericanSoldier’’, ed. Robert K. Merton abd paul Lazarsfeld, new York, Free Press,1950.

وربما يعد كتاب "الجندي الأمريكي" بمثابة انتقال شديد لواحد من أكبر التنظيمات التي عرفها المجتمع الحديث والذي أعده أفراد من داخل التنظيم نفسه، وعلى عكس الدراسات المبكرة للمجتمع المحلي والدراسات الحديثة للأنساق التنظيمية التي توصلت إلى أن معظم الناس راضون عن الأنساق الاجتماعية التي وجدوا أنفسهم فيها، كشفت بيانات "الجندي الأمريكي" عن حالة ملحوظة لملايين الرجال المشغولين بنضال شديد من أجل مثل اجتماعية مطلقة في الوقت الذي لا يوجد فيه اِلتزام حقيقي بهذه القضية بين أعداد ضخمة منهم، ولا توجد لديهم ثقة في قادتهم، ولا يوجد شيء سوى احتقار المعايير التي تنظم حياتهم، وهناك ثلاثة من كل خمسة مقاتلين خدموا في معارك ما وراء البحار كانت ليهم شكوك حول مشروعية الحرب 1945.

وقد أجريت هذه التجارب بدون تحفظ على أمل تعليم السلطات العسكرية كيفية التأثير في آراء وعواطف ضباط الصف والجنود. وكان الالتزام الصادق من جانب الباحثين بالجهود الحربية هو الذي ساعدهم في تعضيد الأهداف الإدارية للقيادة العليا دون تردد، وعند اكتشاف خلل في نسق الإدارة العسكرية تتم معالجته على أنه مشكلات معنوية، ولم يهتم فرع البحوث بإمكانية إصلاح النسق العسكري بالطرق المناسبة، لأن ذلك لم يدخل ضمن اختصاصات القادة الذين كان فرع البحوث يحاول مساعدتهم، ولم تكن الإصلاحات التي تمت بفضل النتائج البحثية ذات تأثير يذكر، وقد عولجت شكوى جنود المشاة بأنهم لا يعاملون نفس معاملة الجنود في الفروع الأخرى من خلال منحهم شارة الشرف، واقترح الباحثون إجراءات جديدة للأخذ بها في فترة السلام بعد الكشف عن سوء استخدام الأنساق العسكرية للسلطة من خلال القنوات السرية للمفتش العام، وقد وجهت انتقادات حادة إلى وجهة النظر الواحدة بعد طبع التقرير، غير أن أصحاب هذه الانتقادات لم يحاولوا الاستفادة من البيانات الغزيرة التي في كتاب "الجندي الأمريكي" لتطوير برنامج منظم لإصلاح المؤسسات العسكرية، وكانت الإصلاحات الرئيسية التي تمت في الجيش بعد الحرب العالمية مجرد إصلاحات داخلية متعلقة بتحقيق العدالة العسكرية أو دعمها، وهو الموضوع الذي لم يعالجه كتاب "الجندي الأمريكي".

10- بيار بورديو:

ولد بيير بورديو Pierre Bourdieu في دينجون denguin،جنوب فرنسا في عام 1930،درس الفلسفة مع لويس ألثوسير Louis Althusser في المدرسة العليا العادية،أنجز بحثا اثنوغرافيا عن قبائل البربر الذي وضع الأساس لسمعته كعالم اجتماع، فكان أول كتاب له "سوسولوجيا الجزائر" Sociologie de L Algerie ، الذي ترك نجاحا فوريا في

فرنسا ونشر في أمريكا في عام 1962، وفي 1960 عاد إلى جامعة باريس للتدريس حتى 1964، وفي 1964 تولى منصب مدير الدراسات ، ومن 1981 شغل أستاذ كرسي في الكلية الفرنسية Collège de France، وفي 1968 ترأس مركز السوسولوجيا الأوربية the Centre de Sociologie Européenne حتى وفاته في 2002.

بدأ بورديو متأثرا بمعظم رموز علم الاجتماع التقليدي،من ماكس فيبرMax Weber محتفظا بأهمية الهيمنة والأنظمة الرمزية في الحياة الاجتماعية، بالإضافة إلى فكرة النظم الاجتماعية الذي في النهاية سيحوّل من قبل بورديو إلى نظرية الحقولِ،ومن كارل ماركس Karl Marx اكتسب فهم المجتمع كخلاصة العلاقات الاجتماعية: "الذي يدمج في علاقات العالمِ الاجتماعي - لَيست تفاعلات بين القوى Intersubjective المرتبطة بين الأفراد، لكن العلاقات االموضوعيةَ التي توجد بشكل مستقل عن الوعي والإرادة الفردية " ، والحاجة لتَطوير النظرية الاجتماعية بشكل جدلي من الممارسة الاجتماعية. وتأكيد الحتمية Deterministic أيضا منه، ومن خلال مارسيل موس Marcel Mauss وكلود ليفي شتراوس Claude Lévi-Strauss،أكد ميل البنى الاجتماعية لإعادة إنتاج نفسها، وعمل بورديو على محاولة تجاوز سلسلة المقابلات التي ميّزت العلوم الاجتماعية (الذاتانية / الموضوعانية، المكبر / االمصغر، الحرية / الحتمية) [1].

لقد عمل بيار بورديو هذا من خلال التجديدات التصورية/المفاهيمية، مفاهيم الهابتوس(التطبع أو السجية Habitus، رأسالمال الثقافي والاجتماعي Social and Culture Capital ، وتصورات اخرى.

بدأ نجمه يبزغ بين المتخصصين انطلاقًا من الستينيات بعد إصداره كتاب الورثة (مع جون كلود باسرون)، وازدادت شهرته في آخر حياته بخروجه في مظاهرات ووقوفه مع فئات المحتجين والمضربين. اهتم بتناول أنماط السيطرة الاجتماعية بواسطة تحليل مادي للإنتاجات الثقافية يكفل إبراز آليات إعادة إنتاج البنيات الاجتماعية، وذلك بواسطة علم اجتماعي كلي يستنفر كل العتاد المنهجي المتراكم في كل مجالات المعرفة عبر اختلاف التخصصات،

1 - بيير بورديو ،**الرمز والسلطة**، ترجمة: عبدالسلام بن عبد العالي، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء(المغرب)، ، 1986، ص18

ولقد انتقد بورديو تغاضي الماركسية عن العوامل غير الاقتصادية، إذ أن الفاعلين المسيطرين ، في نظره، بإمكانهم فرض منتجاتهم الثقافية (مثلا ذوقهم الفني) أو الرمزية (مثلا طريقة جلوسهم أو ضحكهم وما إلى ذلك). فللعنف الرمزي (أي قدرة المسيطرين على الحجب عن تعسف هذه المنتجات الرمزية وبالتالي على إظهارها على أنها شرعية) دور أساسي في فكر بيير بورديو، معنى ذلك أن كل سكان سوريا مثلا بما فيهم الفلاحون سيعتبرون لهجة الشام مهذبة أنيقة واللهجات الريفية غليظة جدًّا رغم أن اللهجة الشامية ليست لها قيمة أعلى بحد ذاتها، وإنما هي لغة المسيطرين من المثقفين والساسة عبر العصور وأصبح كل الناس يسلّمون بأنها أفضل وبأن لغة البادية رديئة. فهذه العملية التي تؤدي بالمغلوب إلى أن يحتقر لغته ونفسه وأن يتوق إلى امتلاك لغة الغالبين (أو غيرها من منتجاتهم الثقافية والرمزية) هي مظهر من مظاهر العنف الرمزي.

أهم أعماله : أنتج بيير بورديو أكثر من 30 كتابًا ومئات من المقالات والدراسات التي ترجمت إلى أبرز الألسن في العالم والتي جعلته يتبوأ مكانة بارزة بين الأسماء البارزة في علم الاجتماع والفكر النقدي منذ نهاية الستينيات من القرن الماضي،أهمها:

-سوسيولوجيا الجزائر 1958

-الوَرَثَة. الطلبة والثقافة 1964

-إعادة الإنتاج- أصول نظرية في نظام التعليم- 1970

-التمييز- النقد الاجتماعي لِحُكم الذوق -1979

-الْحِس العملي 1980

- ما معنَى أن تتكلم- اقتصاد التبادلات اللغوية- 1982

- درس في الدرس 1982

- مسائل في علم الاجتماع1984

-الإنسان الأكاديمي 1984

- أشياء منَقُولة 1987

- الأنطولوجيا السياسية عند مارتن هيدغر 1988

- إجابات: من أجل إنسيات انعكاسية 1992
- قواعد الفن (تكوُّن وبنية الْحقل الْأدبي) 1992
- بؤس العالَم 1993
-عِلَلٌ عَمَلية(في نظرية الفعل) 1994
- في التلفزة 1996
- تأملات باسكالية 1997
- السيطرة الذكورية 1998
-البنيات الاجتماعية للاقتصاد 2000
-علم العلم والانعكاسية 2001
-تدخلات، العلم الاجتماعي والعمل السياسي 2001، 2002
-توطئة لتحليل ذاتي 2004

مفهوم رأس المال الثقافيSymbolic System :

الثقافة عند بيار بورديو نسق رمزي أو كما أطلق عليها اسم القوة الرمزية وهو يقصد أن الأنساق الرمزية في أي مجتمع هي أدوات للسيطرة الاجتماعية والسياسية في المجتمع الديمقراطي،وبهذا فإن الثقافة كأنسقة رمزية هي رأس مال، وهي موضوع صراع بين القوى الاجتماعية المتعددة،وتهدف كل قوة من هذه القوى الاجتماعية إلى السعي وراء السيطرة على حقل الثقافة أو إنتاج وتوزيع رأسمال ثقافي فيه وبالتالي إذا أردنا أن نصوغ معنا ولو كاريكاتوريا على رأسمال الثقافي فيمكننا القول بأنه القبول أو الاعتراف أو الاعتقاد بقوة أو بسلطة من يملك مزايا أكثر، أو شكلاً من الاعتراف بالشرعية، أو قيمة معطاة من الإنسان. ويرتبط هذا المفهوم بمبدأ السلطة ومبدأ التميُّز أو الاختلاف (في الخصائص) ومبدأ الأشكال المختلفة لرأس المال، ويدخل في مختلف الحقول وفي مختلف أشكال السلطة أو الهيمنة، أو في أشكال العلاقات، هذا هو "العنف الرمزي" الذي يحدثنا عنه عالم الاجتماع الفرنسي بيار بورديو في كتابه عن "الهيمنة الذكورية"، ويقول عنه انه "عنف هادئ لا مرئي لا محسوس حتى بالنسبة إلى ضحاياه" [1]، ويتمثل في أن تشترك الضحية وجلادها في التصورات نفسها عن العالم والمقولات التصنيفية نفسها، وأن يعتبرا معا بنى الهيمنة من المسلمات والثوابت.

فالعنف الرمزي هو الذي يفرض المسلمات التي إذا انتبهنا إليها وفكرنا فيها بدت لنا غير مسلم بها، وهي مسلمات تجعلنا نعتبر الظواهر التاريخية الثقافية طبيعة سرمدية أو نظاما إلاهياً عابرا للأزمنة. أشد أنواع العنف ضد المرأة العنف الثقافي المقنّى العتيق الذي تعود ممارساته إلى مئات السنين إن لم نقل آلافها، وأشد أنواع العنف الثقافي هو ذلك العنف الرمزي الذي يبدو بديهيا، ويفرض نفسه على الضحية والجلاد والقاضي، ويقول عن نفسه انه ليس عنفا.

كأداة لترسيخ الطبقية:

إن النظام التربوي في المجتمعات ذات التفاوت الطبقي كما يرى بورديو يعتبر أحد الأليات الأساسية الفعالة في ترسيخ النمط الاجتماعي السائد في تلك المجتمعات،وهذا يبدو جليا من خلال بنية الفرصة النسبية المتاحة لأبناء الطبقات المختلفة لدخول النظام التعليمي في مراحله المختلفة،هذا من جهة ومن جهة أخرى ثمة مظهر آخر لهذا العنف الممارس القوى السائدة وهو في تنوع المدارس في المجتمع الواحد واختلاف مستوياتها باختلاف أصول الطبقية للطلاب الداخلين إليها،فأبناء الطبقات العليا هم الذين يحتلون المدارس ذات النوعية الرفيعة،وعلى ذلك فالتنوع في المدارس واختلاف مستوياتها إنما يعكس صور هذا التفاوت الطبقي ويجسد بشكل واضح أحد أهم مظاهر العنف الثقافي في المجتمعات الحديثة.

1- Pierre Bourdieu, **La Distinction. Critique sociale du jugement**, Les Éditions de Minuit, 1979, 670 p.

- تعريف الأبيتوسHabitus :(السمت)

يرى بيار بورديو أن الأبيتوس هي نسق من الترتيبات الدائمة والمتغيرة المواضع،والبنى المبنية المهيأة للعمل كبنى تبني بشكل بسيط،و يمكن تعريف الأبيتوس كنسق من التنظيمات أو الترتيبات المرتبطة بمسار اجتماعي معين(فالعامل ابن العامل،ألأصل أن يكون له الأبيتوس عامل تقليدي في حين أن العامل بن الفلاح يمكن أن يكون له أبيتوس البرجوازي الصغير،ومن هذا المنطلق فإن لكل طبقة اجتماعية نوعان من الأبيتوس:

1- أبيتوس إعادة الإنتاج: وهنا يعني محولة توافق الفرد مع الظروف المعاشة من طرف العائلة الأصلية فابن العامل لا يطمح إلا أن يكون عاملاً.

2- أبيتوس"التسلق" الاجتماعي: وهو الذي يطمح إلى الصعود فوق الطبقة الأصلية كأن تجد ابن العامل يطمح أن يصبح في المستقبل طياراً أو جراحاً،وخلال هذا التحليل للأبيتوسات فإن

التنشئة الاجتماعية حسب بيار بورديو عبارة عن عملية بيوغرافية لدمج التنظيمات الاجتماعية المكتسبة لا في العائلة فقط والطبقة الأصلية،لكن في مختلف مراحل حياة الفرد التي يمر بها أثناء وجوده داخل مجتمعه،إذن فالتنشئة الاجتماعية من وجهة نظرية بيار تضمن اندماج "أبيتوسات" الطبقة وتنتج الانتماء الطبقي لأفراد كل هذا بإعادة إنتاج بورديو الطبقة باعتبارها مجموعة تتقاسم نفس الأبيتوسات [1].

يتخذ مصطلح الهابتوس أو الآبيتوس (Habitus) دلالات فلسفية وسوسيولوجية مختلفة، ويعني طريقة في الوجود، أو المظهر العام، أو حالة ذهنية أو عقلية، ويعني هذا أن الهابيتوس ثقافة، وحضارة، ونمط من أنماط الوجود والعيش والحضور في العالم.

وقد استعمل مصطلح الهابيتوس أوالآبيتوس (Habitus)، قديما عند الفلاسفة اليونانيين بمفهوم (Hexis)، وخاصة أفلاطون وسقراط، وأرسطو، ومن بعدهم هيغل، وهوسرل، وماكس فيبر، وإميل دوركايم.... بيد أن مصطلح (Hexis)، قد استبدل، إبان العصور الوسطى، بمصطلح الهابيتوس (Habitus)، للدلالة على الحالة أو الوضعية أو طريقة العيش.

1- Pierre Bourdieu, **Sur la télévision suivi de L'emprise du journalisme,** Paris, Liber, coll. « Raisons d'agir », 1996, p 95

هذا وقد أخذ بيير بورديو مصطلح الهابيتوس من المفكر السكولائي طوماس أكين (Thomas D'Aquin)، الذي استعمل مصطلح هابيتوس لترجمة المفهوم الأرسطي (الهيكسيس)، وقد استلهمه أيضا من إرفين بانوفسكي (Erwin Panofsky)، الذي تحدث عن جماليات الإتجاه المدرسي في العصور الوسطى[1] ومن ثم فالهابيتوس هو التطبيع الاجتماعي في مجتمع تقليدي، أو هو بمثابة نظام من الإيتوس القيمي المتعالي، يستطيع الفرد عبره أن يتحرك في العالم المجتمعي، بغية فهمه بطريقته الخاصة، أو بطريقة مشتركة مع الطبقات الاجتماعية الأخرى التي يعيش معها.

وقد ركز بورديو على بنية الهابيتوس الداخلية، ومكوناته، ووظيفته، فمن حيث البنية، يتكون الهابيتوس من مجموعة من الميول، والتصورات، والمعتقدات، والإدراكات، ورؤى العالم، ومبادئ التصنيف، ومن ثم، يساعد الهابيتوس الذي يكتسبه الفرد في الأسرة والمدرسة على تمثل المجتمع واستيعابه بشكل جيد.

هذا، وتقوم التجمعات الأولية(الطفولة والمراهقة)، والتجمعات الثانوية (سن الرشد)، بدور هام في بناء الهابيتوس، ويستطيع الأفراد عبر هذا الرأسمال الاجتماعي المحصل عليه، بفعل التنشئة الاجتماعية، أن يخلقوا هابيتوس الطبقة (Un Habitus De Classe)، بسبب تشاركهم في مجموعة من الأفعال والتصرفات والسلوكيات المشتركة، وبذلك يكون الهابيتوس هو مصدر أفعال الأفراد المجتمعيين، وهو الذي يتحكم في توجهاتهم القيمية والأخلاقية والمعيارية، أي: إنه بمثابة الأنا الأعلى السيكولوجي لتجارتهم الحاضرة في العالم[2] .

ومن هنا، فالهابيتوس هو بمثابة قالب معياري وأخلاقي للشخصية الفردية، بل بمثابة ضرورة أو حتمية تتحكم في أفعال الإنسان، فيما يخص هوايته، وثقافته، وتربيته، وعمله، وتغديته، واستهلاكه...
ويبدو أن مصطلح الهابيتوس الهابيتوس مصطلح غامض ومعقد، إذ يقصد به بيير بورديو "بعض الخصال المترسخة في داخل عقول البشر وأجسادهم" ومن هنا، فالهبيتوس بمثابة مجموعة من الاستعدادات أو الملكات الدائمة التي يكون الفرد قد اكسبها أو تطبع عليها عبر التنشئة الاجتماعية، وبالتالي، فالاستعدادات هي مجموعة من الميول

والاتجاهات والمواقف النتعلقة بالتفكير والادراك والاحساس، فيستنبطها الأفراد حسب ظروفهم الموضوعية لوجودهم، وتوظف هذه الاستعدادات بطريقة لا شعورية، وتتمثل هذه الاستعدادات المستضمرة في القيم والتصرفات والسلوكيات والمكتسبات المعرفية والذهنية، ويعني هذا أن الهابيتوس عبارة عن مجموعة من البنى المعرفية والإدراكية المستدمجة، ويتم إنتاجها في بيئة اجتماعية محددة، ويعاد إنتاج هذه البيئة من خلال قدرة الهابيتوس على التوليد.

1- حسني إبراهيم عبد العظيم، **الجسد والطبقة ورأس المال الثقافي(قراءة في سوسيولوجيا بيير بورديو)** ،المجلة ال عربية لعلم الاجتماع،العدد 15، 2011 ص21.
2- بيير بورديو ،**الرمز والسلطة**، ترجمة: عبدالسلام بن عبد العالي، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء(المغرب)، ، 1986، ص18

وعليه لا يقتصر الهابيتوس على توجيهات الأفراد وتصوراتهم الشخصية فحسب، بل يتجاوز ذلك إلى الاستعدادات الجمعية، مثل: أنماط التفكير والإدراك والتقدير والممارسة، ومن ثم، يؤثر الهابيتوس في الأفعال اليومية، كالتذوق، والملابس، والأثاث، والفن، وعادات الاستهلاك، وأوقات الفراغ... ومن هنا، فالهابيتوس نتاج ظروفه الموضوعية ذاتها.
فالهايبتوس بمثابة مجموعة متنوعة من التوجهات المستمرة والمهارات وأشكال من المعرفة الفنية التي يلتقطها الناس ببساطة من معاشرة أناس من ثقافات فرعية معينة، ويمكن أن تتراوح هذه من أشكال السلوك الجسدي، والحديث، والإيماء، والملبس والأخلاق الاجتماعية، من خلال مجالات المهارات المحركة والعملية إلى أنواع معينة من المعرفة والذاكرة المتراكمة.[1]
يكتسب الفرد أو الفاعل الذاتي مجموعة من الموارد التي تجعله قادرا على إدماجها حينما يتفاعل مع بينية المجتمع بواسطة عملية الاستيعاب الخارجي، أي: إن ثمة تجانسا وتطابقا وتماثلا بين البينة الذاتية والبنية المجتمعية اللتين يتحكم فيهما الهايبتوس، وفي هذا يقول **جون سكوت**: أكد بورديو التطابق والتجانس القريب بين التنظيم الاجتماعي وديناميكيات العالم الخارجي والترتيبات المجسمة الداخلية للأفراد، ويرى أن هذا يأتي عن طريق ما يسميه بالاستيعاب الخارجي، ولقد أخذت أو استوعبت العوامل البشرية بالتدريج على مدار السنين أنواع الأمور, التي تحتاج إلى معرفتها عن بيئتها الخارجية الاجتماعية والمادية حتى يمكنها المشاركة بنجاح في مجالات معينة من ممارستها الاجتماعية،فتترسخ هذه المعرفة في معظمها طبيعة ثانية، إنها توفر مجموعة من الموارد الكامنة في الشكل الذي يسميه بورديو بالمخططات التوليدية التي يمكن الاعتماد عليها كلما اقتضت الظروف.

ومن هنا ليس الهابيتوس مجرد تمثل أو إدماج عاد وبسيط، يبني على ممارسات تقليدية أساسها التكرارا والتنميط والتطبيق الآلي بل هو إدماج إبداعي يتجاوز المماثلة إلى الاستيعاب ومواجهة وضعيات جديدة، كما ان الهابيتوس هو بمثابة بنيات خاضعة لعامل التكيف والتأقلم مع العالم المجتمعي الموضوعي، وفي الوقت نفسه هو بمثابة أفعال محركة لبنية المجتمع، أو بمثابة ممارسات جديدة تهدف إلى حل مشكلات الواقع الموضوعي، وتجاوز حتمياته الجبرية، والهابيتوس يتضمن التطبع بالمجتمع من جهة والتحكم فيه بالفعل الفردي الإبداعي من جهة أخرى.

ويعني هذا أن الفرد يستطيع أن يولد مجموعة من الخطط والإستراتيجيات، حينما يواجه وضعيات مجتمعية جديدة، مثل الذي يستعمل لغته الأم فإنه يستطيع من خلال قواعده محددة أن يولد جملا لا متناهية العدد، ويعني هذا أن الهابيتوس هو مولد إبداعي وتطبيقي لفرد يستعمل كل استراتيجياته وموارده وخططه، حينما يجابه وضعيات مجتمعية جديدة إما بطريقة واعية وإما بطريقة غير واعية يجتهد ويتصرف وفق القواعد والمعايير التي استضمرها سابقا، عن طريق التنشئة الاجتماعية المستمرة أو التي انتقلت إليه من الآخرين.

1- Pierre Bourdieu et Jean Claude Passeron, la reproduction, éléments pour une théorie du système d'enseignement, édition de minuit, 1980, p 144

وإذا كان إميل دوركايم (E.Durkheim) يدرس الظواهر المجتمعية على أنها أشياء وموضوعات، من خلال التركيز فإن ماكس فيبر يدرس الذوات الفاعلة التي تأثر في المجتمع من خلال المعاني والمقاصد التي ترتبط بها أفعالهم السلوكية، هدا أن ثمة ثنائية الذاتية الموضوعية، بينما يرفض بيير بورديو هذه الثنائية ويعتبرها حالة مصطنعة ومشوهة، فهو يحاول الجمع بينهما بتوليد مجموعة من المفاهيم السوسيولوجية، منها: مصطلح الهابيتوس.

فالهابيتوس يتجاوز التعارض الموجود بين الوعي واللاوعي، فيوحد بين الفعل المجتمعي والبنية المجتمعية ويعبر عن انفتاح الذات على المجتمع الخارجي، وفي لوقت نفسه يحيل خضوع الذات الجبرية المجتمعية الخارجية.

فيما مضى لم يكن الهابيتوس سوى تأقلم وتكيف عاديين وبسيطين مع الأوضاع، بتوظيف المكتسبات السابقة بطريقة آلية بل يمكن اليوم أن يتحقق الهابيتوس بطريقة إبداعية خلاقة، بإيجاد الحلول الناجعة لمختلف الوضعيات المعقدة والصعبة والمركبة، ويعني هذا أن الهابيتوس يسمح للفرد بتوليد مجموعة من الممارسات الجديدة التي تتلاءم مع العالم المجتمعي الذي يعيش فيه، ومن هنا فالهابيتوس بمثابة محرك قوي وديناميي يتخذ طابعا تطبيقيا.

فالهابيتوس نتاج البنيات الجبرية والأفعال الحرة على حد سواء، ومن هنا ليس الهابيتوس تطبعا اجتماعيا عاديا بل هو محرك لممارسات مجتمعية جديدة لا متناهية العدد، وتشكل هذه الأحكام نسقا أو نظاما، وبالتالي فالهابيتوس مصدر وحدة الأفكار والفعال لدى الفرد ولا يقتصر الهابيتوس على ما هو فردي، بل يتعدى ذلك إلى الجماعات المجتمعية التي تعيش التطبعات نفسها، ويعني هذا وجود أنماط مختلفة من التفكير والإحساس والعمل ضمن طبقة اجتماعية واحدة ومتجانسة، ومن خصائص الهابيتوس أيضا ديمومة أحكامه وقابلية نقلها من فرد إلى آخر، ومن جيل إلى جيل، ومن جماعة إلى أخرى[1]، وللتمثيل بحق العمل يرتبط الهابيتوس العمال بالمفيد والضروري ومن ثم فلباسهم وظيفي ويهتمون بالفن الملتزم

الواقع، ويكون أكلهم دسما ومشبعا أي: لهم نمط حياة مشتركة تشكل ما يسمى بالهابيتوس العمال، ويتميز الهابيتوس عن باقي الهابيتوسات الأخرى مضمونا وشكلا، في حين يقوم هابيتوس البورجوازي على التجريد، وحب الفن، والبحث عن الجديد من الموضة.

يعني الهابيتوس مبدأ الفعل لدى الأفراد داخل العالم المجتمعي، أو هو بمثابة الأنا الذي يوجه سلوك الأفراد داخل المحيط المجتمعي بطريقة ل شعورية، أو هو نسق من الاستعدادات والملكات والقيم والأفكار والمواقف والاتجاهات التي تطبع عليها الفرد في المجتمع، بغية التمثل بها أثناء مواجهة المواقف والوضعيات المختلفة فهو الذي يوجه سلوك الفرد أثناء مواجهة وضعية قديمة او جديدة، لذا يعتبر الهابيتوس منتج السلوكيات والتصرفات والأفكار والعواطف والقيم التي يمتلكها الفرد أثناء التفاعل مع موقف مجتمعي معين بمثابة موجه لما هو فكري وذهني، وما هو وجداني وقيمي، وما هو فعلي وسلوكي، أما موقعه فهو الوسط بين العلاقات المجتمعية الموضوعية والسلوكيات الفردية، أو هو حلقة وصل بين بنية المجتمع والفعل الفردي، وعلى العموم يتكون الهابيتوس من شقوق ثنائية: فردي ومجتمعي، ذاتي وموضوعي، وفاعل ومنفعل[2].

1- بيار أنصار، **العلوم الاجتماعية المعاصرة**، ترجمة: نخلة فريفر، المركز الثقافي العربي، 1992، ص 27

2- عبد الجليل بن محمد الأزدي، **بيير بورديو الفتى المتعدد و المضياف**، المطبعة الوطنية، مراكش، 2003، ص 55.

ويرتبط الهابيتوس برأسمال معين كالرأسمال المادي، أو الرأسمال الثقافي، أو الرأسمال الاجتماعي، أو الرأسمال الرمزي، وليس الصراع الطبقي هو الوحيد الذي يتحكم في الطبقات الاجتماعية، بل يكون العنف الرمزي أيضا عاملا من عوامل الصراع وأشكاله.

ومن ثم فلكل طبقة اجتماعية هابيتوس خاص، ورأسمال معين، مثل: طبقة العمال، وطبقة المثقفين، وطبقة الفقراء، وطبقة الأغنياء ... ويعني هذا أن الهابتوس يرتبط من جهة بالفعل وبنية المجتمع، ومن جهة أخرى يقترن بالرأسمال والتميز الجنسي أو الثقافي أو الاقتصادي أو المجتمعي ...

وفي الحقيقة واعتمادا على الهابيتوس يمكن تعيين مظاهر التميز الاجتماعي بلا حدود حتى في السلوك اليومي للفرد في: الشارع، والمؤسسة، والبيت، والمشي، والجلوس، والنوم، والعمل، والإتيكيت، والمسكن، ونمط العيش، والسفر، وقضاء أوقات الفراغ، والتسوق، والدراسة، والهوايات ... إلخ.

قائمة المراجع

قائمة المراجع:

1/بالعربية:

2- مجموعة من الباحثين: **الموسوعة الدولية للعلوم الاجتماعية**، ترجمة: المركز القومي للترجمة، القاهرة،

(الجزء 2)، (2010).

2- إبراهيم عيسى عثمان، النظرية المعاصرة في علم الاجتماع، دار الشروق، عمان، 2008.

3- اميل دوركايم،**قواعد المنهج في علم الاجتماع**،ترجمة: محمود قاسم، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة،1961

4- اميل دور كايم ، **قواعد المنهج في علم الإجتماع**، ترجمة: محمد قاسم، دار المعرفة الجامعية، مصر، ط(2)،1988.

5--بيار أنصار، **العلوم الاجتماعية المعاصرة**، ترجمة: نخلة فريفر، المركز الثقافي العربي، 1992.

6-بيير بورديو ،**الرمز والسلطة**، ترجمة: عبدالسلام بن عبد العالي، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء(المغرب)، 1986.

7-بلانشي روبير،**نظرية المعرفة العلمية(الابستيمولوجيا)**،ترجمة:حسن عبد الحميد، ديوان المطبوعات الجامعية،الكويت، 1987.

8-حسني إبراهيم عبد العظيم، **الجسد والطبقة ورأس المال الثقافي(قراءة في سوسيولوجيا بيار بورديو)** ، المجلة العربية لعلم الاجتماع،العدد 15، 2011.

9- الجوهري محمد،**علم الاجتماع التطبيقي**، دار الكتاب الحديث ،القاهرة،2008.

10- زيدان عبد الباقي ، **التفكير الاجتماعي نشأته وتطوره ، دار الغريب للطباعة، القاهرة،1981.**

11-عبد الباسط عبد المعطي، **اتجاهات نظرية في علم الاجتماع**، سلسلة عالم المعرفة، الكويت، 1981.

12- عبد الجليل بن محمد الأزدي، **بيير بورديو الفتى المتعدد و المضياف**، المطبعة الوطنية، مراكش، 2003.

13- عبد الكريم غريب،**سوسيولوجيا التربية**،منشورات عالم التربية،المغرب،2000.

14- قرفي عبد الحميد ، **بناء المعرفة السوسيولوجية** ، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر، مهمل السنة.

15- معن خليل عمر ، مدخل علم الاجتماع ، دار الشروق ، عمان، 2009 .

16- معن خليل عمر،**نظريات معاصرة في علم الاجتماع**،دار الشروق،عمان،1997.

17- محمد علي محمد، **تاريخ علم الاجتماع (الرواد والاتجاهات المعاصرة)**، دار المعرفة الجامعية،الإسكندرية،1983.

18- مجمد أحمد بيومي،**أسس وموضوعات علم الاجتماع**،دار المعرفة الجامعية،الإسكندرية،2001.

19- نبيل رمزي ، **النظرية السوسيولوجية المعاصرة، أصولها الكلاسيكية واتجاهاتها المحدثة (قراءات وبحوث)**، دار الفكر الجامعي، بدون بلد النشر، 1999.

2/ بالفرنسية:

20-Angers Maurice**: Initiation pratique à la méthodologie des sciences humaines**, casbah édition, Alger, 1997.

21-Émile Durkheim: **Le Suicide: Étude de sociologie**, Paris, Presses universitaires de France, coll. « Quadrige » (n° 19), 1981.

22- Émile Durkheim; **Les formes élémentaires de la vie religieuse,** Presses Universitaires de France, 5e édition, 2003.

23-Simon .J : **Histoire de la sociologie** ,p,u,f, France,1991.

24-Pierre Bourdieu, **La Distinction. Critique sociale du jugement**, Les Éditions de Minuit, 1979.

25- Pierre Bourdieu et Jean Claude Passerons, **la reproduction, éléments pour une théorie du système d'enseignement**, édition de minuit, 1980.

26- Pierre Bourdieu, **Sur la télévision suivi de L'emprise du journalisme,** Paris, Liber, coll. « Raisons d'agir », 1996.

3/ بالانجليزية:

27-F.J.Roethlisberger and William, J. Dickson (with Harlot A. Wright), **Management and the Worker, Cambridge**, Mass, Harvard University Press, 1939.

28-Willian thomas and Florian zaniecki, **the Polish Peasant in Europe and America**, 2Vols, NEW York, knops, 1927. Republished in facsimile New York, Dover, 1920.